حكاية عمر شمعة

حسين عبد الله فضل الله

دار المحجة البيضاء

@NoorAlbersi_Library
Tele: Intellectualrevolution

حكايةٌ

بعمرِ شمعة

حسين عبد الله فضل الله

حكايةٌ
بعمرِ شمعة

دار المحجة البيضاء

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

ISBN: 978-614-426-540-6

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال
ص.ب: ١٤/ ٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/ ٢٨٧١٧٩ / ٠١/ ٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/ ٥٥٢٨٤٧
E-mail: almahajja@terra.net.lb
info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com

الإهداء

إلى أم الساوة والثوار والمستضعفين أبد الدهر..

إلى سيدة العوالم فاطمة الزهراء «ع».

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾

(طه/ ١٠٨)

هي هو

حين أسدل الليل ستاره المرهف، توجّهَت الى الفراش البارد بتململ.. والعتم فضاء.

وقبل المنام، كانت تُمسك بيدِها الهاتف - وضوء شاشته ينير وجهها القمري - وتتأمّل صورتَه المفضّلة، فتمر بجفنيها على عينيه، وبإصبعها على خدّيه، وبنبض قلبها على إشراقةِ نور وجهه، فتتخيّله يُحدّثُها عن حكاياتِ العشقِ الأبدي؛ وتراهُ يجري في بستانِ البيلسان؛ وينامُ بين ربوعِ الياسمين؛ ويقدّم لها باقة من أزهارِ العمر.

كان خيالُها البعيد يؤذيها كثيراً.. لجنونه وفتونه. كان عقلُها يستهجنُ بعض أحلامها المتمردة.. لقد ترك فكرها المرهَقُ في صمتها نظراتٍ ثورية..

وفجأة.. كانت تُطفئ الهاتف.. وتُغمض عينيها بشدّة منعاً للدمعِ من الهطول، وتتمسك بالغطاءِ كالولد الصغير، كأنها انتبهت أنه رحل.. أنه لن يعود.. (هي) لا تريد أن تُصدق أنه مضى..

(هو) حيٌ يُراقبها كل المساء، ويبتسم لوفائها، وهي تعلم ذلك جيداً، فتفرح لبسمته، وتغفو..

(هي) لا تريد للحياة أن تطول بعده.. فتتجّرع قدح الشوقِ اللذيذِ بألمٍ في كلِ سحر ليل، لتستيقظ في غسقِ الفجر، لتُجدد العهدَ والعزم على تطبيقِ وصيته حين الوداع (يكفيني يا حبيبة القلب، أن تقتدي بالزهراء (ع))

قد بدأنا أبجدية الوفاء.. من الألف الى الياء.. فلنكملها معاً

* وهو يوم آخر دافئ في المدينة ذات القلوب الباردة

Riko94

Riko94_

بسم خالق الجمال

بعنفوانِ الشباب، وبحليةِ الأغنياء، كانت تطرقُ جسدَ الأرضِ بكعبها الأسود العالي، ملتحفةً بحجابٍ زهري اللون، وبثيابٍ رماديّة كرماد صدفِ شواطئ بحيرةٍ ساحرة، (هي) تمشي بثقة (الأنا) المفرطة، وعيناها كأبراج قلاع الروم، وحمرةُ شفتيها بلونِ وردة الجوري الجبليّة، كانت تتجولُ كأميرةٍ من بلاد الفرس، تحوطُها وصيفاتٌ متبرجات.

لطالما شعرت بأن وجودَها هو الأقوى، وأن قلبَها يُسيطرُ على كلِّ شيء، كانت تتنفّسُ بعنجهيّةِ الجمال، وتعيشُ ملكةً بين الإناث. وذات ليل، كانت تمشي كعادتها فوق الأرض لا عليها، الى أن لمحت عينيه..

وبصدمةِ عشق، وبلحظةِ انقشاعٍ للوهم، سقطت امبراطوريتها العاجيّة، وخشَع قلبُها المتجبّر، وتبدد كبريائها بعد حزم الواقعِ المذهل.

ورغم تكبّرها القاتل، التي كانت تُغذّيه بـ(أنا شهزنان)[1] كلَّ صباح، ورغم شموخِ نفسها المتعالية، لم تستطع عدم

(١) – شاه زنان: تعني (أميرة النساء) في اللغة الفارسيّة.

التحديقِ في عينيه..

(هو) لم يكن ملتفتاً لها بعد، لقد كان مشغولاً بترتيب شاله الأخضر على مرآة سيارته العتيقة.

مرّت عليها ثوانٍ عجيبة، لحظاتٌ غريبة، لم تدري سبب ارتجاف الروح والأضلاع، ولم تعرف من أشعل في فؤادها الصراع، كأن روحها أمست دهراً تبحث عن ذلك الغريب، فاهتزّت بسبب القرب، وتاهت لفرط الشعور. لا يشعر أحدٌ في عالم الأجساد بروعة إلتقاء الأرواح.

(هو) شعر بهدوء الكون، بسكون القلب، بضجيج الروح. جاءه نسيمٌ عليلٌ من يمين لحيته الأنيقة، جعله يلتفتُ الى الشمال – كان الهواء والماء والسماء وكل مخلوقات عالم الإمكان تعمل لإتمام هذا الوصال –. على شماله، كانت (سيدة الأرض) تمشي بلا وعي، تنظر بوله، هائمةً في نهر عينيه العسلي.

وفي تلك اللحظة، أصابت العين العين، ورمى القلب للقلب سهم التحدي، فانتفض الوجود، وحضرت ملائكة الجنان – لعلمهم بختام هذه الحكاية – فساد صمتٌ – في الفضاء – مريب، واختفت الألوان والأصوات، لم يسمع أحدٌ منهما إلا حفيف شجرة الصفصاف (الحنونة) على ناصية الدرب..

لم يقاطع هذا الشرود لكليهما (ببعضهما) هطول مطر

خفيف، ولا هبوب رياحٍ عاصفة، (هو) نسي إغلاق زجاج سيارته فإمتلأت وجنتاه ماءً نديّاً، لكن (هي) كانت أضعف من أن تجرؤ على التأمّل المباشر في عينيه، فأكملت المسير ببطء تحت دموع السماء.. والعقل فيه ألف (كيف؟!) و(لماذا؟!) و(ماذا؟!).. والقلب يردد ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1].

(١) – القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية: ٣١.

* لم أجد للحب مبرراً.. ولا سبباً.. الحب لا يخضع لمبدأ العلل الدنيوية.. فعندما تحل المحبة في القلوب تتلاشى كل المسوغات..

وإذا خضع الحب لتفصيل الشرح فقد معانيه.. لذا فإن (لاأدري)

هوأصدق جواب على (لماذا) في قاموس العشق.

ألمٌ وإنتظار!

لم ينم في ليلة (**الألف**)، أرقّته أبجديّةُ ليالي الإنتظار الأولى، فيومياً، ولمدّة سبع ليال طوال، وعلى تمام ساعة إلتقاءِ العيونِ الأوّل - قبلاً لم يكن ممن يُتقنون الإلتزامَ بالمواعيد -، كان يتجهّزُ بكامل لياقته وحلّته، فيقفُ أمامَ مرآته كفتاة تحتارُ بين نماذج قطعِ الألبسةِ المتراكمة، ليلبس أحلى الثياب لديه، كان يلمّع حتى أرضيّةَ حذائِه الأسود اللامع، لقد اشترى أمس عطرَ المسك الأذفر، واغتسل بالعنبر، كاد أن يُفرغ الزجاجة في اليوم الأول! لم يضعْ (كريم) على شعرهِ المنسدلِ على أذنيه، لقد كان يحذرُ من لباس الشهرة ومظاهر اللهو عملاً بحدود (التقوى)..

وفي اليوم السابع للشوق، كان يقودُ سيارتَه التي بدأ بغسلِها وتلميعِها عند كل استيقاظِ صلاة - سابقاً كان يغسلُها إبان عواصف الرمال فقط -، وتسلل الى ميدان الحرب، الى معركةِ العيونِ القادحة، الى حيث رآها ورأته ورآهما الله..

هناك، ركن سيارته بمكانٍ كاشفٍ غير مكشوف، فمع أنه من أهل الجرأة والقلوب الصلبة، إلا أنه كان يشعر بأن

شجاعة المبادرة هذه المرّة أصعب من عمليّة استشهادية برتل دبابات، أراد أن يراها من بعيد، أن يكون لديه تمام الوقت للإقدام، لذلك تمترس خلف جبهة (شجرة الصنوبر) بوضعيّة قتاليّة يرصد هدفه الناعم!

كان يجلسُ متأهباً في مقعده يستمعُ للقرآن الكريم، (هو) [redacted] كان دائماً يردد أنّ القرآن كتاب حياة وسعادة! مرّت دقائقٌ، كأنها أعوام، وهو ينتظر بلهفةٍ وقلقٍ وهيام، كان الخوف يتصاعد مع كل صوت (تكّة) لعقرب ساعته العسكريّة، تلك الساعة التي لا يلبسها إلا حين إطلاق صواريخ (الكاتيوشا) على فلسطين المحتلّة!

(هي) بدورها كانت تمرّ بما مرّ به، وبنفس الشغف والشوق والغرابة، مع فارق أنها تقود سيارتها الزهريّة الفارهة، لقد كانت ممن تُغريهم المظاهر كثيراً، أرادت أن تعلمَه أنها من طبقة الأشراف..

(هو) كان ينتظر قدوم سارقة (الروح) بفزع، بترقّبٍ وهلع، الى أن تلا القارئ الآية: ٢١ من سورة الروم ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا - وظهرت (هي) أمامه فجأة!! وتصادمت العين بالعين، وبلا سبب، ارتاح وابتسم، وأكمل يُتمتم مع التلاوة -وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾..

وفي الوقت الذي كانا يسرحان بالبصر، يتحدّثان بالنظر، يتعمّقان بلغةِ العيون العاميّة، دوّى انفجارٌ إرهابيٌّ غادر!! بالقرب من شجرة الصفصاف المباركة، رماه عصْفُ التفجير أرضاً! فيما تصاوبت (هي) بإصاباتٍ بليغة أفقدتها الوعي!! وبشهامة المقاومين، قام (هو) بالهرع إليها، قافزاً فوق لهيب النار، صارخاً بأعلى صمته (إياك أن تمضي الآن يا مليكة الوجدان، لا زال الوقت باكراً للرحيل!!..)

***لولا السجود.. لتبعثر حال العارفين.. ولأصابهم الجنون..**

لعدم القدرة على معرفة كيفية البوح بسيلِ العشق!

في حضرة الزهراء -ع-

وفي غمرةِ النور، جاءَتْ إليها سيدةٌ جليلة، تلبسُ عباءةً بيضاءَ بلوريّة. وبلمسة سحريّة، أمسكتْ يدَيها ومسحت على رأسها الجريح، ثم أغمضتْ عينيها للحظاتٍ هامسةً بدعاءِ لم تسمعْ مثلُه من قبل، واختفتْ..

وبين الذهول والرهبة، تساءَلتْ إن كانت -هذه السيدة- حوريّة، أم روحاً ملكوتيّة!؟ فسمعت صوتاً رؤوفاً يندهُ في فضاءِ الرؤيا (يا بُنيتي، بلّغي حفيدي عني السلام!!)

وبشهيقٍ صعب بسببِ جهازِ التنفسِ المطبقِ على فمِها، وأضلاعٍ ملفوفةٍ بسببِ الجراح، استيقظتْ على سريرٍ أبيض، تحت حائطٍ أبيض، ورائحةُ الدواء تملأُ الهواء. وبينما هي تُنازع بين اليقظة والحلم، ولا تعلم (ماذا) و (أين)، سمعتْ همساً حزيناً عن يمينها ينادي.. (الهي بفاطمة.. بفاطمة.. بفاطمة..!)

التفتَتْ بهدوء، فرأتْه ساجداً سجدةَ عشق، يرتّلُ لحنَ النوى، يرجو اللهَ أن يُعافيها بحقِ سيدةِ الوجود، وبلحظةِ

وضوح، انتبهتْ لكل ما قد جرى.. فتحمّستْ لإيصال سلام الزهراء (ع) إليه، لكنّ جهازَ التنفسِ منعَها من البيان، فحرّكتْ عامودَ (المصل) لكي ينتبه لها، فلم تفلح، حاولتْ رفعَ نبرةَ أنينها فلم تنجح، (هو) كان يُحلّق في عالم القدس، كفراشةٍ أذهلَها شعاع مصباحِ عتيق، فتاهتْ بجمالِ ضيائِه.. وذابت بالوصال..

لم تجد حلاً سوى رمي عامود المصل عليه، فأصابته في رأسه!! وقف مصدوماً، كعارفٍ استيقظ فجأةً من سجودِ عميق! وما أن رآها مفتحةَ الرموش، حتى ابتسمت وجنتاه بملء الكون، فمسح دموع الولاء عن خديه، واقترب بكل كيانه إليها.. لم ينطق بحرف، أراد أن ينعمَ الصمتُ بفرصة وصفِ (الاشتياق الأول) في الحكاية..

دقائقٌ - بحجم القلق عليها - مرّت، وقّعوا خلالها رواية العيون بختم القبول، وحانت مرحلة الإيماء، فأشارت له بيدها ليُعطيها حبراً وورقة. وجد قلم، لكنه لم يجد ما يُكتب عليه، فطلبت منه إعطاءها منديله الأبيض الذي كان في بقعة سجوده..

كان المنديلُ مبللاً بدمع الولَه، لكنها وجدَتْ مكاناً جافاً فيه، كتبتْ رغمَ رجفةِ يديها، (جدتُك الزهراء(ع) شرّفتني بالمنام، عالجتْ جروحي بحنان، وهي تبلّغك أطيب السلام..)!!

كان يكفي أن تلفظ اسم الزهراء (ع) على مسمعه حتى يتغيّر حالُه، كانت علاقته بفاطمٍ (ع) سرٌ لا يفهمه أحد، لذلك وما إن قرأ ما رسمتْ، حتى اختنق بنبضات الشوق رغم سعة نافذة التسليم، فأطلّ دمعُه الذي غابّ من لحظات، وهرعّ مجدَداً ليتنفس على صراطِ السجود، شاكراً الله، والزهراء، مجدِداً العهد بالتمسك بالعروة الوثقى لكرام آل بيت محمد (ص)..

(هي) كانت تراقبه باستغراب، فلم تكن من أهل الورع، لكنّ قلبها النقي كان راغباً بالدنو من عالم المتقين. لم تكن تدري بأنّ لمسةَ الزهراءِ (ع) على جبينِها ستدخلُها فردوسَ الوالهين في ختامِ أنفاسِ عالمِ الخلائق..

لقد بقيَ ذلك المنديل المقدس بندى العشق مؤازراً لها حتى منتهى هذه الرواية الحزينة..

***قد قالها القرآن.. بإقراره والحزم.. ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ !..**

فإن كنت تبحثُ عن الطيّب.. فاعلم أن شرطَه أن تكون له أهلاً..

وإلا فإن سعيَك لشتّى!

ولكن!

خرجت من المشفى، بقيت لإسبوع تتعافى في منزلها من آثار الجروح، لكن قلبها لم يتعاف بعد من صدمة فرحة لُقياه، كانت تتحدث معه يومياً، محاولةً - بشكلٍ غير مباشر - معرفة عمله وإمكاناته وشخصيته التي لا تزال مجهولةً لديها، ولأنها بعيدة عن تواضع أهل الجهاد، ورغم ظمأ القلب، ظلّت تكابر عن إلقاء السؤال، أرادت أن ترسم صورة (اللا مبالاة) عنها في ذهنه، كما تفعل مع باقي الشباب، جاعلةً من نفسها (ممنوع مرغوب)، لتأنس عند سقوط قلبه بشباك (إغراءها) بلذة الإستبداد (الوهمي) الذي إعتادت عليه..

(أنا ثائرٌ من مجاهدي المقاومة الإسلامية، أحمل دمي على كفّي، وأتوق للشهادة)

كان هذا جوابُه بعدما سئمت من أن يبوح بسرّه، فسألتْهُ عن طُموحِه، لقد لاحظتْ طبعَه العسكري، فحركاتُه قاسية، ونظراتُه قادحة، ويملكُ حساً أمنياً عالياً، وعلى يديه آثارُ

احتدام الكفاح، وعلى يسارِ حاجِبه جُرحٌ ملفت، زادَه جمالاً وهيبةً ووقار..

لحيتُه المهذّبة الطويلة أخافتْها قليلاً في بداية الحكاية، عشقتْها حدّ الجنون مع بدء الحب. كان شعرُه يلاعبُ الرياح، كمرجِ سنابل يتراقصُ على ألحانِ نسيمٍ عليل.. كان في يده اليمنى خاتمُ عقيقٍ يماني، يقبّلُه بين فينةٍ وأخرى. هي تعلمُ أنّ لهذا الخاتم قصة مشوّقة سيرويها لها في فجر يومٍ ما..

كان بِشرُ وجهه الباسم يشبه روعةَ مسجدِ صغيرٍ على قمةِ جبلٍ نائي.. وعيناه.. عميقتان.. كعيونِ قبطانِ بحرٍ عجوز، منيرتان كبدرِ القمرِ في ليلٍ حالك.. يقرأ المحدّقُ فيهما كتاب ألف ليلة وليلة.. من ليالي جبهات الاشتباك الباردة..

كان أنيقاً بالفكر، ذكياً بالشكل.. مثقفاً بالعقل، رحيماً بالقلب.. مؤمناً بالفعل، عالماً بالقول.. كان رجلاً استثنائياً بالمعاملة، مُبدعاً بالشعور، مليئاً بالإحساس والثورة، رجلٌ مستعدٌ للتضحية لأجلها حتى آخر الممكن..

لكنها ورغم كل ما سبق من (صفات ملائكيّة)، (هي) كانت متمردةً في العلاقات، لا تؤمن بوجود الرجل الكامل.. هذا ما تعلّمَته من ثرثرة فناجين القهوة الصباحية.. ومن هرطقة رواياتٍ نسويّة فارغة!!

ولهذا.. ولأنها متكبّرة، تسلّطت على قلبها بديكتاتورية (الأنا)، أرادت أن تعامله كغيره، بفوقيّة، أن لا تنجر وراء قلبها الهائم، لذلك شيّدت سداً منيعاً بينها وبينه، ورفعت عليه راية كُتب عليها بحبرِ ورديْ (لا رجل يستحق دخول مملكتي!!)

* كمهرج هو المطر..
يرسم البسمة على شفاهِ العالمين بلا كلام!

انهيار الأنا!!

وغداة فجرِ نهارٍ ضبابي، وسماءٍ ملبدةٍ بمزنٍ خنقتها خزائنُ الماء، كأنها تنتظرُ من يشاركها البكاء، لتسقي الأرضَ العطشى من معينِ رذاذٍ بارد، وبعد أن أنهتْ (هي) وصالَ الفجر، وبينما كانت تتلذّذُ بقهوتِها الصباحيّة (المُرّة) على وقعِ صفعاتِ الرعدِ لصعيدِ الأرض، رنّ هاتفُها بموسيقى رحيل (تشي غيفارا) الهادئة - كانت تعتقدُ أنه يشبه ذلك المجاهد الشيوعي كثيراً -.. وبلا سبب، قرّرتْ أن لا ترُدَّ على اتصاله، رفضتْ الإجابةَ بأنفٍ عالٍ كأنها من سلالِة الفراعنة، يُحيطها ظنٌ بأن التجاهل سيجعله أكثر توقاً لها، ظنٌ لا يعتري أهل الفضائل، بل يحوق بمن أعطى فُرصة الوسوسةِ للخنّاس فقط. ناداها هاتفُها مراراً، ولسان حاله يقول (لا حياء لمن تنادي!) فلم تهتم، (هي) ليست معتادة أن تتنازل عن عرشِها الأنثوي بسهولة!

لحظاتُ سكونٍ مرّت، قبل أن تصلها رسالةٌ خطية تقول.. (أردتُ أن أُلقي الوداعَ الأخير! أنا متوجهٌ إلى جبهاتِ العشق،

آملاً باللحاقِ بركبِ شهداء نينوى، نلتمس منكم الدعاء).

لم تفهم روحانية الحروف، فلم تكترث كثيراً، تمترست خلف سدِها المتكبّر المنيع، مختبئةً من هجمات الميْل، رافضةً الخنوعَ لمنطقِ الشوقِ أو القلق..

كانت تستند على نافذتها تصغي لعزف أنغام المطر.. تبادر لها كم كان (شتويّ الهوى)، ابتسمت لذكريات ضحكات بدايات فصل الشتاء، وكيف كان يرفع وجهه الباسم النقيْ مستقبلاً خير السماء، بأحضان خديه.. وبينما هي سارحةٌ بخيالات الغرام، قاطعها رنين الهاتف مجدداً..

كان طبيبها المتّصل، أراد أن يُذكرَها بموعدِ فحصِ الكليةِ المزروعة!! لم تفهمْ ما قال، كرّرَ عليها القول، لم تستوعب، كِليةٌ مزروعة!! عن ماذا تتكلم!؟

(لقد اختلَّ عملُ الكلى لديك بسببِ سمومٍ أصابتْك في التفجير، لقد تبرّعَ ذو الوجهِ المنيرِ الذي أوصلكِ إلى الطوارئ بكليةٍ منه، وتمنّى أن لا يعرف أحدٌ بالأمر)، قال الطبيب هذا وأغلق الهاتف!!

واشتعل الرأس شيباً، وضاج القلب ندماً، أسرعت بلا شعور إلى شرفة الأحزان، تشكو للغيومِ ما ألمّ بها من قهر، محاولةً أن تتصل به، بعد أن انهارَ سدَها المنيع، وتَضَعْضَعَ جسدُها النحيل، ولكن بلا جدوى. سقطتْ (الأنا) التي

رافقتْها منذُ عشرين عاماً عند أول تطبيقٍ مروع لـ(نحن)!!
.. كان هذا أول درسٍ واقعي تتلقاه بصفعةٍ من أستاذٍ خبير..

هناك سؤالٌ أرّقت به مساءَ البدرِ طوال ليالي الإنتظار الآتية (وماذا لو استشهد يا قمر!؟)

لم تجد سوى (صلاة الليل) متنفساً لحنينها، فأدمنت دعاء السحر، ربي لا تذرني في الحب وحيدةً وأنت ملاذ العاشقين!!

٨

* وكأني بعلي يرتّل الآهات.. قرب شعاعٍ خفيف.. لفانوسِ ليلٍ عتيق..
وكأني بكميل ابن زياد.. يُصغي إلى شفتيه بدهشة القلب..
والعيون غائرات.. والجسد تهزّهُ النبضات.. ولما تلفّظ الأمير
بـ (يا سريع الرضا!) خفَت الضوء.. وتوقّد العشق..
وأُسدلت سجدة الختام.

٩

في حضرة الشهداء

كانت تُمضي أيامها بين قيلولةٍ وصلاة. لوعةُ غيابِه لم تفارقْها طيلةَ دهرِالانتظارِ، وجزعُ تبادرِ فكرةِ استشهادِه جعلَها تهوى النوم، نومٌ بقيَ أُمنية، منعَها سلطان القلق من تحقيقِها، (هي) تهابُ أن تغفو فتراهُ في المنام، فيفترقان مجدداً باستيقاظٍ محتّم. لقد هجرَت وجبات الطعام، فاستحالَ جسدها كعودِ الأراك، حتى نُزهات المطاعمِ الباهظةِ لم تعدْ تعنيها كثيراً..

أسبوعٌ مر، لا حسٌّ ولا خبر، كانت كوابيسُ الفراقِ تقدحُ في قلبِها كرباً عميقاً مع مرورِ العمر، من يراها يظنُّ أنها بألف خير، بقمّة الأناقة والرُقيْ، لكنَّ اللهَ وحدَه يعلمُ ما في الجوى من شجن. لا يشعرُ باغتمامِ قلوبِ المشتاقين إلا ربٌّ رحيم.

وفي غروبِ ليلةِ جمعةٍ ساحرة، من ليالي ربيعِ الفصول، وبتلهّفٍ ووَجْد، لجأت (هي) إلى روضةِ الشهيدين في ضاحيةِ بيروتَ الجنوبيّة، لتأنسَ بالأنوارِ المباركةِ لشهداءِ الدفاعِ المقدّس، هناك، كان القارئُ يصدحُ بآهاتِ كميل بن

زياد، (هي) لم تكن من أهلِ الدعاء، لكنَّها ولشدّةِ الوحشةِ جلسَتْ تُصغي بأُذنِ القلب.. وعيناها تبذلانِ دمعَ الندمِ على مدى تاريخِ الذنوب..

آلمّها كثيراً تعاملها غير العادل معه، وهو الذي بذل لأجلها عضواً تحتاج إليه لممارسة التكبّر المقيت، لا تعلم ما يُمكن أن تفعل في حال استشهد! كيف سيعاقبها الله! كيف سيعاقبها الندم! كيف ستتحمل العيش بوزرٍ بهذا الحجم!؟

ورغم شقشقة النفس هذه، وانكسارها أمام تضحية لم تعهد لها مثيل، إلا أنها لم تكن تُريد أن تُصدّق أن أكثر ما يُعذّبها هو إمكانية خسارته كـ حبيبٍ محتمل، بل حبيبٍ مرجو! بل حبيبٍ مؤكّد.. (هي) - بالواقع البسيط- كمثل باقي النساء، كانت تأمل دوماً بأن تلتقي بمن يرتجف القلب عند رؤية عينيه.. وهو ما حصل معها بقوّة على مرآى شجرة الصفصاف.. عند بسملة الحكاية...

في ذلك المساء، كانت تجلس وحيدة في زاوية المكان، (هي) لم تكن إجتماعية النوع، كان لها بضعة صديقاتٍ فقط، تخرج معهن عندما يتطلب الأمر صحبةً فارهة، الى أماكن باهرة، حتى أنها كانت تخجل من أن يعرفن بأنها جالسة تستمع الى دعاء ما، فهذه الطقوس لا تليق بكعبٍ زهريٍ عالي..!

(هي) وبعيونٍ صغيرةٍ كعيونِ لاجيءٍ مظلومٍ وصل للتو الى شواطئ النجاة، كانت تُحدّق باستغراب بعباءات المؤمنات، بصور الشهداء المنيرة، برايات المقاومة الصغيرة، كانت تشتّمُ رائحة الحبق في جدران المكان، وتستمع بحرقةٍ الى أنين بعض الأمهات الصابرات. هو عالم جديد تجهل طبيعته.. وصلت إليه بعدما ضاق فيها الشوق، فاقترحه القلب عليها بإلهامٍ إلهيٍ كان نتيجة دعاء أحدهم لها في ظهر غيب.

حاولت وبعد أن أحست بنظرات الناس إليها إخفاء قدمها، فهي كانت تلبس حذاءً لا يناسب وقار المكان، كانت تجهل ضوابط الزيارة، ولا تعلم بأدبيات المكوث، لكنها ورغم الحياء لم تبالي، قرّرت أن تبقى، فهي تشعر بأنسٍ غريب في حضرة الشهداء لم يعترها من قبل.. أنسٌ يستلزمُ بسمةً خجولة.. لم يحن أوانها بعد..

لم تشأ البكاء، لم يكن النحيبُ من سماتِ الأشراف، كانت تُمسك دمعَها عن النزول، رغم شعورها بأن في عينيها نهرُ ماءٍ مالحٍ يتدافعُ نحو سدٍّ أجفانِها بقوّة. وما إن تلا القارئ جملة (يا سريعَ الرضا، اغفر لمن لا يملكُ إلا الدعاء..) حتى ضاقَ الدمعُ في مقلتيها وفاءً وحباً واحتقار، فأجهشت بالبكاءِ المدمّرِ لاستكبارِ العبيد، المطهّر للنفوسِ

من ماءِ الخطايا الآسن..

بقيت وحيدةً تردّد (يا سريع الرضا) حتى خلو المزار، لقد بدأت منذ تلك الليلة مفاعيل لمسة الزهراء(ع) تظهر في حياتها، (هي) لم تكن تدري أن اللحظات القليلة الآتية ستختصر لها نهاية المصير..

* نحن يا بيروت شعبٌ عاشقٌ لا ننحني إلا لقطف الورد..
وردٌ تغذى من دم الشهداء.. وردٌ تفتّح مع دعاء العهد..

الدحنون سيّد الأساطير

وبلا ميعاد، وبينما كانتْ تهدمُ ذنوبَها هَدماً، عبرَ البكاءِ من خشيةِ الله، سمعَتْ صوتاً أليفاً بقربِها يقول ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[1] (الإسراء: ١٠٩) رفعتْ رأسَها بهدوء، فرأت ملاكَها يقفُ أمامَها بهامةِ الفرسان، حاملاً وردةَ أقحوان، نبتتْ من شجرةِ مريمِ المجيدة..

ابتسمَ لها بوقار – لحظاتٍ من الصمت– وقال (هذه وردةٌ قطفتُها تحتَ أزيزِ الرصاصِ من فوهةِ مدفعٍ قديم، زرعتُها في جعبتي العسكريّة، سقيتُها من مطرة (شهيد) تارة، ومن دمعِ دعاءِ التوسّلِ تارةَ أخرى، لقد أسكرني عطرُ هذه الزهرةِ الأخّاذ، فاعترفتُ لها بكلِّ شيءٍ عنك، لقد أشبعتُها حديثاً عندَ اشتدادِ الوطيس، حتى تفتّحتْ من لوعةِ الهوى..)

وبين دهشةِ الحالِ وضرورةِ السؤال، جثا (هو) على ركبتيه، رفعَ الوردةَ إلى الأعلى، وهمسَ بألقْ (أوتقبلين يا وردةَ الروح، أن أكونَ فلاحاً يزرعُ في بساتين العمر، قُبلاتٍ

(١) – القرآن الكريم/ سورة الاسراء/ الآية ١٠٩.

من الدحنون والياسمين!؟)

ارتجفَ قلبُها الحزينُ فرحاً، وانفرجتْ وجنتاها معلنةً للرضا الأكيد، ولولا حُدودُ التقوى، لمنحتهُ عِناقاً أليماً، تغبطُهم عليه ملائكةُ الحورِ في مملكةِ الشهداء..

(هي) قالتْ (نعم)، (هو) كان خبيراً بأثرِ الوردِ الكبيرِ في قلوبِ النساء..غريبٌ كيف لجذعٍ أخضرَ رقيقٍ وأوراقٍ حمراءَ ناعمة، أن تُلخّصَ شعوراً بحجمِ الكون. كأنّ ربَّ الجمالِ قد خلقَ الوردَ لإسعافِ العشاقِ حين تعجزُ حروفُهم عن وصفِ الاشتياق.. أو عن تقديم الاعتذار..

(هي) عاهدتْه على نهائيّة الإخلاص، على السعيِ إلى التغييرِ حتى الكمال، على البقاءِ تحت جناحِه الحاضنِ لها مهما عصفَت بها رياحُ البلاء.. لقد تعاهدوا على السيرِ في حب فاطم.. عملاً بنهج حيدرة.. على إنجاب أبناء لمحمد.. تُثقلُ الأرضَ بـ(لا اله إلا الله)..

رقدوا سوياً في روضة السابقين، (هو) وفور وصوله بدأ يُحدّثها عن شهداء القبور، فهذا رفيقي قاسم، وهذا حبيبي ملاك، وهذا أخي أبو صالح وذاك إيليّا هناك.. حدّثها كيف استشهد كلٌ منهم، ومتى، وأين، وكيف، قد ينسى المرء تفاصيل فراق عزيز، خلال ضجّة الحياة العالية، لكنّه يستحيل أن ينسى أحوال فراق الشهداء، كأنّ الله قد قسّم الذكريات،

فالحيُّ منها للشهداء، والمنسيّ منها لسائر الخلق

لقد أنهيا الزيارة سوياً في ذلك الليل، ودّعها ومضى، حافظت (هي) على وردة الأقحوان بين صفحات كتاب رواية (حكايةٌ بعمر شمعة).. تخليداً لحدثٍ مضى، وأيامٍ خلَتْ..

* سأكون بكلِّ ما فيَّ لك، وستكونُ بكلِ ما فيك لي..

مودةٌ ورحمة

هو الزواج، قيثارةٌ مخملية، تعزفُ في أثير الدهر نغمات استمرارٍ لوصال الجنسين، المتحابين، فلا طلاق للعشاق، وإن حدث هذا البُغض، فسببه الأول صمت موسيقى القلوب عند لقاء العيون الأول، إنما الزواج العاطفي شعارٌ خطّه المختار (ص) في الأرض، سنّه بإذن تعاليم السماء، حثّ عليه مانحاً إياه شرف إكمال الدين. ولأصالة الزواج فطرياً، فهو قد كان مقدساً عند أغلب القدماء، فلا عجب في أن يرقص الغجر لليالي عديدة يذبحون فيها المواشي فرحاً لإتمام العرس، ولا غرابة أن تنتظر بعض قبائل الهند كسوف القمر من كل عام لتزويج أبناءها.. لعظمة الحدث باعتقادهم، على أمل استدامة الوفاق.

في ليلةِ العزوبية الأخيرة، ذهبا سوياً الى مجمع القائم (عج) في ضاحية بيروت، صليا ركعتي شكرٍ لله المنعم المفضل، وتصدقا قربةً الى الله بنية التوفيق، وتسمعا سويّاً لخطبة شيخٍ وقور..

أعرب إمام الصلاة عن ألمه لحال الشباب، مُتحدثاً عن مشاكل الحداثة، وما بعد الحداثة، عن سيئات شبكات التعارف البعيد، فصاح قائلاً:

أغلبُ (الأفراد) هذه الأيام؛ وبسبب عولمة المجتمع في مواقع التواصل؛ وكثرة سماع الحكايا؛ أصبحوا ضحية (الفراغ العاطفي).

الفراغ الذي يؤدي بـ(الفتاة/ الشاب) الى التعلق بأي (آخر) يُبدي لها/ له الإهتمام؛ أو الحب؛ ويملأ لها/ له فراغ القلب.

وبعدالزواج؛ تتوضح الحقائق؛ وتنقشع غمامة الإعجاب -فالحب ليس أعمى لكنه لا يبصر- فتستيقظ البصيرة على خيار استراتيجي خاطئ.. ولهذا تكتشف أنها لا تحبّه، فتطلب أبغض الحلال!

فيا يا أيها الأحبّة! لا تهينو الحب! فالحب ليس أعمى، الحب بصيرةٌ وحزم عقل، الحبُّ توافقٌ على الكليّات، الحبُّ التئامٌ في مقاصد الحياة..

العمدة إذن أيها الشباب في إختيار الشريك هو الإنسجام في (آليات التفكير) و (التوجهات القلبية).

أمّنوا هذين الشرطين.. وتزوجوا من شئتم.

كان ذلك النهار ذكرى زواج النور الفاطمي من النور

العلوي، مناسبةٌ إختارها ليخطب فيها عزيزة روحه، ليكون زواج النورين قدوةً ونموذجاً لهما من حيث الإستقام الإتزان والإيمان والثورة..

همس لها مبتسماً بعد الخروج من المسجد، (شو رح تكوني متل سيدتي الزهراء!؟) هي ضحكت عالياً وأجابت (ولما لا تكون انت كإمامي علي!).. فعقّب قائلاً (أين الثرى من الثريا! لا أحد يستطيع ان يكون مثل هذه الأرواح الملكوتية، نعم فلنحاول قدر الحب أن نسموا الى معاليهما).. مرّت آخر لحظاتهما بين نظرة وبسمة، حياءٍ وخجل، تلاوةٍ ودعاء، كان القلب متوتراً ومشوشاً، عندما دخل السيّد الجليل لإتمام العقد.. وبعد ان أخذ التوكيل، وقالت (قبلت!) بلا أي تردد، تعالت زغاريد النسوة لعلو ارتفاع خدودها، وطُلب العريس ليرى عروسه الجميلة..

(هو) وقبل ان يدخل الى غرفة النساء، همس لصديقه علاء -الذي يعمل في وحدة التدخل الخاص في المقاومة- (شو يا صاحبي! أيهما أصعب، اقتحام موقع للعدو، أم اقتحام غرفة مليئة بأخوات ناطرين ليشوفوك ويزلغطو ويراقبو..) ابتسم علاء ملياً وقال (التنين بدن تخطيط ونفس طويل، بس لا والله هاي أصعب، عيون النسوان بتخوف أكتر من القناص!) ضحكا سوياً.. حضنه علاء بشدة وأكمل(بس يلا قوي

قلبك يا خيي.. اتكل عالله..)
هو دخل بهيبة المجاهدين، كان لباسه الرمادي الأنيق يُناسبه كما يليق اللون العسلي بأنهار الغابات الاستوائية، وتسريحة شعره لا تشبه إلا خطوط الصخر الداخلية في مغارة جعيتا في لبنان، ولمعان عينيه سرٌ يلفت بديهة الجميع، أما (هي) فكانت متألقةً كنجوم الدب الفلكي الصغير في ليلٍ غاسق، وعيناها تبرقان فرحاً..
اقترب منها بلهفة، قبّل منها الجبين، وحضن منها الجسد، وحدّق في عينيها للحظات وكأنه في عُزلة عن المحيط، لم يسمع همس النسوة، ولا صفيق الأحبة، كان القلب ينبض فيه بسرعة لروعة (الجعل) الإلهي، (هو) تمتم لها (الحمدلله الذي خلق لي من نفسي زوجةً لأسكن إليها! وأرتاح في عينيها! وجعل بلُطفه وحُبه وعطفه بيننا مودةً ورحمة! فلنشكر الله يا خطيبتي على هذه النعم، لعل الله يزيدنا من العشق عشقاً)..
قاطعت أمه الفكاهية حديث العيون هذا ودخلت بينهما، حضتنه وقالت (أنا حبيبتك الأولى، إنو ما دغري تنسانا ها!).. ابتسم وهز رأسه راضياً، كانت أمُّه بالنسبة إليه أمنُ الروح وبهجةُ الحياة، وبسمة العُمر..
لقد التقطت (هي) معه صورة واحدة في ذلك الليل، لأسبابه الأمنية، صورة بقيت لامعة حتى حين، تُزين مكتب غرفتها الزهريّة.. هما أنهيا تلك الليلة بفرحة،

وببسمةٍ شتويةٍ لكليهما شاركتهم فيها حتى ورود الدار وطيور الجوار..

(هو) وفي نهاية النهار، شكر قاضي القلوب الوالهة على هذا التيسير، كان يعلم جيداً أن تطبيق قانون الله بحذافيره يُعدّ من أسباب السعادة العليا في أعمارنا السريعة..

(هي) توسدت أريكة السعادة، تُحدّق في خاتمها الرقيق، تتعجب من قدرات دائرة معدنية في إصبعها على جلب كل هذا الهوس في المضي بالحياة، تغمرها فرحة عارمة وكأنها حلّت عُقَدَ المحال، محال الزواج ببطلِ الأحلام الوردية، فرحةٌ منحتها إياها قوّة الوهم، بمواسمٍ آتية ستُزهِر فيها الأيام بحقائق المباهج.

*** إن في بوح (ولئن أدخلتني النار لأخبرت أهلها أني أحبك)**
وصالاً غريباً يُشعَلَ قلب العاشق البصير..

فلتحيا بالعشق!

رحلَ الشتاء، ومعَه أجمل لحظاتِ الحنين، ذكرياتُ - اللقاءِ الأوّل - ستبقى تشتعلُ عندَ كلِ زخّةِ مطر أو رجفة برد، أو رائحة شواءٍ لـ(كستناء)..

لقد التفتتْ الغيمةُ الأخيرةُ المسافرةُ في مدى السماء -بتعبٍ- وقالتْ (لقد سكبْنا دموعَنا، وتحملْنا الشمسَ على ظهورِنا، حتى نُظلّلَ جسدَ الأرض، وأجناسَ الورد، لتحيا بالعشق- أبداً - يا فصلَ الربيع..) ومضتْ..

كانت أيام الخطوبة - الربيعيّة- الأولى تختزلُ تغييراً جذرياً بكلِ الصفاتِ السيئةِ فيهما. لقد غيرته وغيّرها، كيف لا وفلسفةُ الحبِ تقومُ على اكتمالِ الاندماجِ بين روحين بعد تنازلِ كلاهما عن ما لا يرضاه الآخر..

فلقد ملأها تواضعاً بعد استكبارِها، وقرباً للدينِ بعد بُعدِها، وجُنوناً عاقلاً بحب الآلِ بعد جهلِها، لقد تغيرَ حجابُها، وحديثُها، ونظرتُها للأمور، حتى أنها بدأت -حقاً- تُفكّر بالعباءة الزينبية..

وهي أيضاً غيّرت فيه الكثير، فلقد شرعَ بأخذِ رأيها بكلِ أمورِه - بعد غموضه - حُباً بها، وخفّفَ من انفعالاتِ غضبهِ لأجلها، لقد بدأَ يُفكّرُ بطموحٍ أعلى.. أرادته أن يُكمل طلبَ العلم.. حتى الشهادة..

(هو) كان يعتقدُ أنّ أكثرَ ما يُشبهُ النساءَ في الوجودِ هم الورود، فكلاهما ناعمٌ وجميل، وكلاهما يحتاجان لذكاءٍ وحذر عند التعاطي معهما. إنّ شوكَ الأنثى كيدُها، وكيدُ الوردةِ شوكُها.

فما الورد والنساء إلاتجلياتٌ إلهيّة أبدعها الخالق للجنّة.. ثم زيّن بها الحياة الدنيا.. لإتمام نعمة الجمال على الإنسان.

لكنه ولشدّة حُبّه للأزهار، كان يتغافلُ عن شوكها الجارح، مستعداً لأن ينزف دماً عبيطاً لكي يشمل برحيقها.. إلا أنّ شوكةَ (وردة الروح) كانت متمردة الطباع، بعيدة الجنان، ذكيّةَ اللسان، فتصادمت مع عنادِه عندَ أولَ مفترقِ طُرقٍ على دربِ التغيير..

(هي) كانت تظنُ بأنّ مرحلةَ الخطوبةِ تُعدُّ بمثابةِ فترةِ خروقاتٍ على حدودِ وطنِ الحب، تنتهي بتوقيعِ معاهداتِ فضِّ اشتباك، ليتفشى السلام والوئام عند انصياعِ الهوى لمودةِ الزواج.

(هو) كان يؤمنُ بـ(الجعل) الالهي، كان يرددُ دوماً.. ﴿إِنَّ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[1].

وبين ظنّها (هي) وإيمانُه (هو) شيطانُ الحكايات، يوسوسُ حتى لمآذنِ المساجد، ولأجراسِ الكنائس، (هما) يحتاجان الى تسديدِ (قلْ أعوذُ بربِ الناس..) لختم قصيدةِ العشقِ بتواشيحِ الفرح..

(١) - القرآن الكريم/ سورة مريم/ الآية ٦٢

* أناقة الشكل والفكر ونظافة القلب والثوب

من أبرز مواصفات المؤمن.

اندماج

لا زالت عندما تلقاهُ تغوصُ في نهرِ عينيه، لا يخفُّ الشغفُ ولا تضعف اللهفة، هي تتأمّلُه ببسمة، فيعودُ (هو) طفلاً بين أحضانِ جفنيها المكحلين، كولدٍ صغيرٍ يشاكسُ تحتَ سربِ حمامٍ يحومُ فوقَ بستانِ منزلِه الصخْريْ في جنّة الجنوب..

ولأنها تحوطُه برقابةٍ عالية، كانت تفزعُ عليه من كلِ شيء، من الهواءِ البارد، والريحِ العاصفة، والشمسِ الحارقة، هي لا تعلمُ (لماذا!)، وهو يستعجبُ (لماذا!) ونحن نستغربُ (لماذا!)، لربما لأنَّ الحبَّ لا قيدَ فيه، غير محدودُ المدى، مطلق الإحتمال، ملكوتي الوجود، فلا تعنيه قوانينُ هذه الدنيا الضيقة، إن أطلقَ الانسانُ عنانَه يُعمي بصيرةَ الفكر، ومنطقَ التحليل. الله وحدَهُ يعلمُ لماذا وكيف وأين.. ومتى.. لأنه خالقُ العشقِ ومنتهاه.

(هو) امتزجَ بكلِ تفاصيلِ حياتِها، بكلِ حروفِ القصيدة، لقد أصبحَ لها وطناً.. وأمسى كلَّ الأمل..

ولذلك، لم يرق لها أنه من المدخنين أبداً، فالتدخين مضرٌ

بصحتِه المقدّسة عندها، وليس من آداب المتقين. كان يشرعُ بإشعالِ سيجارةٍ نافخاً دخانَها الى الأعلى - كان الدخان يُزعجُها ويمنعُها من الاقترابِ منه - فطلبتْ منه الإقلاع، لكنه قالَ - رامياً بصرَه لعينيها - (أنا أنفخُ دخانَ أحزاني، لأتسامرَ معه أشجاني، لا تهتمي لصحتي يا وردتي، أنا شهيدٌ أعدّ الثواني..!)

(هي) كانت ترى في (السيجارة) عدواً إرهابياً لئيماً، يسرقُ منها سلطانَ القلب، بلا رحمة، كانت تراها في فمِه كسافرةٍ تتراقصُ على شفتيه، تسقيه سُماً قاتلاً!! لم تتحملْ هذا المشهد! أرادته أن يتركَها بأي وسيلة!

ولأن لكلِ إنسانٍ مفتاحٌ خاص، ارتأتْ إقناعه عبَر الدين، بحثتْ بينَ بطونِ الرواياتِ كثيراً، إلى أن جهّزتْ حديثاً ملائماً، ستفاجئُه به في المقابلةِ الآتية..

(أنت قبيحٌ بنظرِ الإمامِ العسكري (ع)!!) قالتْ له بثقة، (هو) استهجنَ القولَ، ماذا تقولين!؟

قالت بحزم (هناك حديثٌ للإمام يقول - ما أقبحَ بالمؤمنِ وله رغبةٌ تذلّه! - والتدخينُ يُذلُّ المؤمنين، لإدمانهم عليه، ثانياً إنَّ بقيةَ الله (عجّل) حتماً يُفضلُ أن لا يكونَ أنصارُه من المدخنين، ثالثاً جدتُك الزهراء (ع) كانت لِتكرَه منك هذه الصفة القبيحة!)

بدهشةٍ واستعجاب، نظرَ إليها نظرةَ (من أنت!)، كانت

تتكلمُ كفقيهٍ يتقن الفلسفة وفنَّ الإقناع، (هو) طأطأ رأسَه ملياً، فكَّر بحروفِها الذهبية، لقد زلزلت فكرةُ احتماليّة عدم (رضا فاطمة – ع –) كيانَه، قرّرَ – منذُ تلك اللحظة – السعيَ لتركِ هذه العادةِ السيئة، فبالنسبة اليه، كان رضا الزهراء (ع) فوقَ كلِ سخافاتِ دنيا الحُطام..

أشعلَ سيجارةً أخيرة قائلاً (خلص هيدي آخر وحدة، ومن بعدها بوقف إذا الله راد..) المدخنون يفهمون أبعادَ هذا القول جيداً.. ولكن ليس في هذه الرواية..

* لم أجد (أبرع) من ريشة البحر.. ولا (أروع) من قلم الليل..

ولا (أرفع) من راحة السجود.

شمعة أم شمس؟

كانت ليلةً حالكةً من ليالي الربيعِ الزاهية، عندما شعرتْ (هي) بلفحةِ برد، فقامَ (هو) بخلعِ مِعطفِهِ الصوفيِّ وألبسَها إيّاه، وهمَس (العشقُ معطَفُ الروح، فلا تخلعيه..)

حدثَ هذا في مقابلةِ (اللام)، في تلك الحقبةِ الغابرة من تاريخِ الأبجديةِ، كانت (هي) لا تزال من صنفِ المتبرجات، تعزفُ على جسدِ الأرضِ بكعبِها الصلب، ألحاناً مغناطيسية، مرسلةً – عن غير عمد – نغماتٍ راقصة نحو قلوبِ الرجال.. كانت عيناها تقْدحُ كعيونِ صقرٍ أسيوي فاتن، يمتدُّ الكحلُ فيهما كجناحِ نسرٍ لاتينيٍ أصيل.. لم يُميّز أحدٌ بين شفتيها ووردةِ الجوري بعد، كانت أغلبُ بنات العيونِ تحسِدُها على لباسِها الأنيقِ المهووسِ بألوانِ الطيورِ الأفريقيّة..

(هو) كان يُرددُ على مسامعِ قلبِها دوماً عند بدايةِ كلِ لقاء (إنّ الشمسَ لا تحتاجُ إلى شمعةٍ لإتمامِ النور!)

ولأنّ اللهَ ألبسَهنّ ثوبَ الحياءِ الرائع، كانت تبتسمُ فقط، مع أنها لم تفهمْ ما أنشد، كانت عندما يتكلم تشعرُ وكأنه

يُغني لها كطيور الحب، (هي) تُصغي إلى رشاقة رموشِه أكثرَ مما تستمعُ إلى مضمونِ كلامه..

عصراً، وبينما كان الله يولجُ الليلَ في النهار، التقى العاشقان، عند صخرةِ (الروشة) في بيروت، تلك الصخرةِ التي لولا صلابتها لذابت من أنينِ الحزانى! مخطئٌ من يظن أنَّ ملحَ البحرِ هو سببُ تآكل بدنِها، لا، إنّ تعاطفَ هذه الصخرة مع آهاتِ أصحابِ القلوبِ هو من رسمَ تجاعيدَ وجهها العجوز.. بريشةِ الدهر..

ما إن رآها - كدمية ملونة لطفلةٍ صغيرة - حتى تمتمَ مجدداً (إنَّ الشمسَ - أيها القمر - لا تحتاج إلى شمعةٍ لإتمامِ النور..) هي شعرتْ هذه المرّة بضرورةِ الاستفسار، لم تبتسم، التفتت إليه - وحواجبُها تحضُنُ الأجفان - ماذا تعني هذه الجملة؟ ماذا يقصدُ أميرُ الروحِ من هذا البوح!؟

(هو) تنفّس كالصبح، وابتسم كصيادٍ نجح في استدراج طيور الحب. طلبَ منها الإستقرار على صخرةٍ شامخة، أجلسَ قلبه بقرب قلبِها، التقطَ من الشاطئ صدَفةً زهريّة، ومن أنفاسِه هواءً نديّاً، سكتَ قليلاً يستجمعُ البيان، متأهباً لكلامٍ لطالما أرادَ أن يجودَ به..

وهج حروفه التالية سيكون كمِشعلٍ يُضيءُ لها طريقَ العابرين..إلى الفوز العظيم.. حيث السعادةِ الأبديّة..

*** ولم يزل القرآن يصعق القارئين كلما وصلوا الى آية**

﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾

Riko94

Riko94_

حجابك بندقية!

أتدرين يا سيدةَ الروح، كم أبدعَ اللهُ بخلقِ المحَار، بأشكالٍ غريبة، وألوانٍ عجيبة، وأودعَ في بعضِها لآلئ البحار، أتعرفين لماذا؟

إن اللهَ غطّى كلَ ثمينٍ بحصنٍ منيع، مهما كان صغيراً أو كبيراً، فلآلئ البحرِ الصغيرة بالمحارِ القوي، ولؤلؤةُ الكونِ – الكرة الأرضية – بالغلافِ الجوي، وما هذا إلا حمايةً لها من الأذى الخارجي، كما يحمي عاقلُ الإنسانِ طعامَه وشرابَه بمستوعباتٍ مختلفة.

(هي) كانت تُحدّقُ فيهِ محاولةً فهمَ ما يقصد، الى أن أكملَ وقال:

أنت كالشمس، بل أبهى من الشمس، ومستحضراتُ التجميلِ كالشمعة، أفهل يحتاجُ وهجُ الشمسِ الى شعاعِ الشمعِ لإتمامِ النور!؟

ألسنا أتباعُ الزهراء الإنسية (ع) التي تُشكلُ النموذجَ الأكملَ للاقتداء؟ في العفّةِ والطهارةِ والدين!

ألسنا أتباعُ الحوراء زينب عاصمة الصبر (ع) التي كان

يُطفئُ السراجُ خوفاً عليها من عيون الشياطين!

أتدرين أن كلَ رجل ينظرُ لامرأة متبرجةٍ بشهوةٍ وريبة ولو للمحة، هو وهي سببٌ هذا الزلل!؟ وستُعاقبُ على ذلك عقاباً شديداً؟!

أتدرين كم من شابٍ كان يُحاول أن يسلكَ طريقاً الى الله، سقطَ بسبب مظاهرِ النساءِ المتبرجات!

لقد سمعتُ من أحد العارفين أنه قال (والله، أنا عندما أرى امرأةً سافرة على الطريق أشعر وكأنها تحترقُ أمامي بنارِ جهنّم!!)

الحجابُ محارُ المرأة، درعٌ بوجه النذالة، حصنٌ للمجتمعِ الرزين، إن الذبابَ يا عزيزتي لا تُغريه إلا النفايات المكشوفة..

الحجابُ إحدى جبهاتِ الحربِ الناعمةِ الحساسة، يسعى العدو لضربها ليل نهار. (العباءة) هي السلاحُ الأساسي في المنظومة الدفاعيّة للتماسك في هذا الصراع.

(هي) كانت مُنذهلة العيون، ورغم أنها سمعت الكثير من الملاحظات قبلاً، لكنها في هذه المرة انصعقت بدهشة الحقيقة، وقوة المنطق، كأنما كان على عينيها غشاوة، أزالها ملاكُها بمسحةٍ من حروف لغةِ الضاد، فأخرجَها من الظلماتِ الى النور..

(هي) ولشدةِ الندم والحماس، أرادت أن ترجعَ الى

منزلها فوراً، أحسّت نفسَها عارية، على الطريقِ قالت له بإخفات (خلص سألبسُ العباءة، أنا عاشقةٌ للزهراء أيضاً، واليوم جلجل الحق!)

(هو) أورد لها معلقاً (يا سيدة العفاف، عليك أن تلبسي عباءةَ الجوهر، قبلَ لُبس عباءة المظهر، احتشمي داخلياً، ثم خارجياً، إن العباءة فيها من القداسة ما يجعلها توفيقاً من الله للمستحقين فقط!)

كانت وقعُ كلماته -القاسية- عليها كصعقةٍ كهربائيةٍ للروح، لقد كانت صوتيات السيّارة تصدحُ بندبيّة (يا زهراء.. عن نهجك والله شبراً لا نحيد..) فيما تسرحُ هي بعالمٍ جديدٍ دخلتْ عليه بلمسةٍ من سيدة النساء.. ذات حُلم..

*** قفْ عند حدود التقوى، واخرق كل حدود الكون!**

قمر

كان يوم تشرفت بوضع العباءة الزهرائية عرسٌ بحق؛ كان (هو) باسم المحيا يحدق فيها بآخر الصالة؛ و(هي) تلقي عليه نظرات حياء من بين قبلات المهنئين..

كانت تشبه ضياء القمر في ليل غاسق؛ فوجهها دائري كالبدر؛ وعباءتها سوداء كعتمة الليل؛ وعيناها نجوم لامعات..

هكذا تزين العباءة وجوه النساء؛ ليبدو كالقمر؛ وكفى بذاك جمالاً..

هما سيذهبان الى زيارة حضرة زينب(ع) في الأيام الرجبية التالية؛ للتبرك وتجديد العهد؛ للسير على خطى الثورة الحسينية؛ والسعي الى الارتقاء بالنفوس كي لا ترى إلا جميلا؛ مهما اشتدت التضحيات..

ولكنها كانت تظن أن العباءة حصر وضبط وحجر؛ أنها يجب أن تحد من طموحها.. أن تكون جليسة بيت فقط!

(هي) نقلت له الأمر؛ قالت: (أنا أفكر بأن لا أكمل علمي؛ العباءة غير مريحة؛ سأخدمك في المنزل الزوجي بأشفار

العيون! لأسدد لك دين التدين والحب)

(هو) انتفض عليها قائلاً! ومن قال أن العباءة أو الحجاب يمنع المرأة من الوصول الى المبتغى وتحقيق العلا!

إياك يا أميرة الحجاب أن تنجري وراء الجو العام للمجتمع؛ فتختصري حياتك بإنتظار الزوج (النصيب)؛ أو بتحصيل إجازة جامعية فقط.

الإسلام يريد منك أن تعملي لتحصيل القوة؛ أن تكوني فاعلة ومؤثرة على الساحة الدينية والمجتمعية.

فكوني كاتبة؛ كوني شاعرة؛ كوني سائدة في التبليغ أو الإعلام؛ لا بل كوني رئيسة جمهورية! كوني نائبة دستورية! كوني كالزهراء 'ع' معلمة وثائرة وقائدة ورائدة وقدوة وزوجة؛ والأجمل من هذا كله؛ عيشي (أماً) تُربي أجيالاً يملأون الوجود بـ(أشهد أن محمداً رسول الله!..)

كوني كزينب الطهر.. التي ملأت الخافقين براية (لن تمحو ذكرنا!) التي سترفرف حتى خاتمة تاريخ الأمم..

(هي) اشتعل فيها الطموح، ابتسمت لحُبه الصادق لها، لفرادة تفكيره، ومنذ تلك اللحظة، غيرت أفكارها المحدودة وقررت العمل على تحصيل المكارم والوصول الى العلياء عبر الإقتداء بنور الثورة الفاطمية (ع)..

* آيةٌ وراية.. وحذاءٌ عسكري قديم.. وليلٌ بارد..
وشايٌ وأنين ناي.. ورائحة فحم السنديان.. وحزم بندقية..
محفورٌ عليها بعض أسماء الراحلين.. هكذا هو ختام فجر
الثائرين..

متى أنجو!

واعدها يوماً على ميقات صلاة الفجر، قرب مسجدِ الضيعة النائي، لم يكن (هو) ممن يؤمنون بمواقيت البشر، ولا بأماكن التقائهم، كانت ساعته مواقيت الصلاة، وأماكنه بيوت الله..

(هي) وصلت قبله، تقصدت ذلك، كانت تحتاج بين فينة وأخرى لجلسة تأمّلٍ قبل لقائه، جلست على حافة المسجد، تُطلق عنان البصر في وديان ارض عاملة، وتمنح لأذنيها لحظاتِ هدوءٍ ضرورية، قبل أن ترتجف لسماعِ صوتِ شهيدٍ حي..

لا يُغلق باب القلبِ عن الشعور، أحسّت بقدومه، تفاجئت بيدين خشنتين أغمضا عينيها، أحدُهم وقفَ خلفها، قائلاً (أنا من مدرسةٍ قتالية، تبذلُ الدماءَ ليحيا العدل، فمن أنا؟)

لقد عرفت أنه (هو) من جُرحِ يدِه اليُمنى، الذي رسمتْه شظيةُ قذيفةِ هاون سقطتْ بقربه أثناء تحريرِ مقام الحوراء زينب (ع)..

(هي) هتفت بفرح (عرفتك.. عرفتك من هذا الجرح..).. فجلس بقربها بهدوء وصاح (آهٍ يا إيليا! كم أنا لك مشتاق!)

(هو) لايزال يذكرُ صديقَه الشهيد إيليّا الذي استشهدَ معه حينها، ولازالَ قلبه يعتصرُ ألماً في كل مرةٍ يرى فيها الجرح.. فيتذكر تلك المعركة..

هي تساءلت (ومن يكون إيليا..!؟)

ردّ عليها بصوتٍ خافت (إيليّا يا عزيزتي أجمل من مطرٍ خفيف.. في ليلٍ خريفي بارد.. وأرقّ وقعاً من ألحان الناي.. في سيمفونية الرحيل.. وأشدُّ جذباً من صدى تواشيح العشق.. بين جدران المتاحف ..وألذُّ شكلاً من كأس ماءٍ جليدي.. لعطشان صحراء.. هو بطل تحرير مقام العقيلة الحوراء (ع)..)

(هي) استاءت لحال عينيه الحزينتين، فأشدّ ما قد يؤلم القلب هو ذكرى فراق العابرين من الأحبة، لامت نفسها كثيراً على السؤال، لكنه قاطَعَ كثير اللوم وأكمل وهو يُحدق في مدى الشمس..

(لا زلت أذكر الشهيد إيليّا قُبيل لحظاتٍ من استشهاده، كنت بعيداً عنه بأمتار، كان يُمسك بندقية القصاص.. ويختبئ خلف الساتر الترابي من أزيز الرصاص.. وبين صولات المدافع.. وعند احتدام الوطيس.. بادر الى ترتيل

دعاء العهد.. عالياً.. أراد أن يحزم في قلبه صدق الوعد مع إمام الزمان.. بالتشبث على نهج قافلة العشق.. حتى ختام الأنفاس..)

(هي) قاطعته بلطافة، محاولةً تجفيف دمعه في المقل (حبيبي ومن قال لك ذلك؟! لربما كان يتذكر حبيبته ويرجوا أن ينجوا من الموت ليراها!)

(هو) نظر إليها نظرة (وما أدراك)، وهمس (أنت لا تعرفين إيليا، فهو قد أراد الموت للقاء حبيبته، فحبيبته يا عزيزتي هي الزهراء (ع)).. سكت قليلاً.. وأكمل بشجن.. (أما هو فقد انسكب شهيداً.. بلحن النوى.. في كأس الولاء.. أما أنا.. فقد بقيت هنا.. أرقد في هذا السجن صريع الهوى.. يغرّني لمعان القضبان.. إلهي متى أنجو!! متى سأحيا! فقد أتعبني ضجيج هذه المدائن!)

(هي) طأطأت الرأس، يؤلمها دوماً حديثه عن الرحيل، لم تكن بعد ممن يفهم عُمق فلسفة الشهادة، كانت تراه شهيداً حياً يقضي معها آخر لحظات العمر، لذا قالت له بنبرة معارض (ولماذا لا نعيش كأفرادٍ عاديين، فرحين، وننجب أولاداً كُثر، تاركين الجهاد والكفاح لأهله، لماذا يجب أن نُضحي من أجل الآخرين!!)

(هو) كان لا يزال يرزح في رياض ذكرايات رفاقه

الشهداء، وجّه نور عينيه إليها وقال (لم أنس بعد وصية إيليا في إحدى ليالي المرابطة بين أحضان ثلوج جبل صافي، عندها تأخر البديل الذي يجب أن يحل مكاننا في النقطة العسكرية، فطالت أيام خدمتنا أكثر من اللازم، وعندما نفذ صبري انتفضت وصرخت متمرداً على هذا الحال، كان هدوء إيليا يُزعجني حينها، كان راضياً صامتاً دائم البشر والتفاؤل، في تلك الليلة، وبعد أن رآني في قمّة الغضب، قال لي بلسانٍ ملائكي (يا رفيق السلاح، إنس «الأنا».. ولاتقبل إلا أن تكون شمعةً متوقدةً تذوب فداءً لتنير ليالي المحبين الحالكة! هكذا - فقط - ترتقي في درجات الإنسانية الى مستوى «ياسيوف خُذيني»!..)

لم أستطع حينها إدراك كونية كلامه، لكن حروفه البرزخية أشعلت في قلبي ناراً مؤنسة، أحرقت لاحقاً كل حطام (الأنا) المتغطرسة في نفسي، وارتقت بي الى مستوى (كربلاء)..

والآن، قد فهمت ما كان يقصد إيليا، بعد سلسلة قراءات وتأملات، القصد أنه يجب أن يكون لكل فرد هدفين في هذه النشأة.. هدف (الأنا) الشخصي.. وهدف (النحن) الإجتماعي.

أرقى هدف شخصي يمكن العمل عليه هو الوصول الى الله.. معرفة الله.. عبر السير والسلوك الأخلاقي والعلمي..

وأسمى هدف إجتماعي - في هذا الزمن - يمكن العمل

عليه هو التمهيد الميداني العملي لثورة المهدي من آل محمد (عج)..

والعمل لهذين الهدفين فيه خير الدنيا والآخرة.. فالأول هو تطبيق أن (تموت غداً) والثاني هو أن (تعيش أبداً).. إنصياعاً لأمر الأمير (ع) في (عش لدنياك وآخرتك).

ولهذا فإنّ المقاومة هي مسيرة تمهيد، مسيرة تحضير، مسيرةٌ بدأت بشرارة {إقرأ...}، وستُختم بالنصر مع إقرار {إنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون} عند تطبيق عدالة السماء على يد الإمام القائم (عج)..

(هو) ابتسم فجأة، وأكمل (في يوم من تلك الأيام، كنت أشكو للشهيد إيليا ضيق الحال، وتأخّرَ موعد الظهور المقدّس لبقية الله الأعظم (عج)، واضعاً اللوم على أبناء أمتي، وأنهم غير متجهزين بعد، حينها نظر إيليا في عيوني وقال، في أية ساعةٍ بالدقّة يؤذّن الفجر؟؟

أنا ارتبكت من السؤال، فرغم قيامي كل صباح لتأديتها، إلا إنني غالباً لم أكن أصليها في وقتها. إيليا المحب لم ينتظر مني جواباً، كان أنبل من أن يُحرج صديقه، فلم يكن يقصد الا الإرشاد نحو الإهتمام بميدان النفس، قبل تقييم الآخرين، فقد سأل وأجاب فوراً (إن كنت لا تدري فإياك ان تُنافق وتهتف للقائم (عج) لبيك! وإن كنت تدري فطوبى

لنسائم الصباح عندما تعانق أحضان خديك)

في تلك اللحظة أحسست بحجم التقصير، وانا الذي كنت أتغنى بإيماني، وأظن أنني من المقربين، من ذلك الحين عزمت على مجابهة النفس، وتزكيتها، وترميمها، وإصلاحها لتكون.. كما يجب أن تكون..

(هي) تبلورت نظرتها ببصيرة الحديث، وعُمق المقاصد، تخَاطَرَ ببالها أن تسأله عما فعل عندما استشهد إيليا، لكن قلبها تدارك حُزن السؤال ونحيب الجواب، فاختصرت تعليقها على حديثه بـ(رحم الله كلَّ من رحل لنحيا بسلام..)

في تلك الليلة أمطرت السماء ندى، وكأن آذان السموات قد شاركتهم هذا الحديث، فأنزلت ما اجتمع فيها من دمع، هو ودّعها بقبلةٍ على الجبين كما في كل مرة، لم يتعامل معها يوماً كحبيبٍ فقط، كان لها جداً وأباً وأخاً وزوجاً وناصحاً رشيد، وكما في كل وداع، مشى مبتسماً مبتعداً عنها الى الوراء، جاعلاً وجه جسده بمواجهتها، لإشباع أحداقٍ لا تشبع من بريق عينيها، كانت تفاصيل حركاته تلك تستفزها كثيراً، (هي) تمتمت لقلبها عند الفراق (يا غيمة المساء، إني لأرى حبيبي في الصيف مطر، وإني لأراه في الحر شتاء، فبحق أعمدة السماء! قولي لي! هل أنا جننت! ام أنّ هذا حال من يعشق أحياء الشهداء..!).

*** ومن يُحدّق بالشمس، ويُدقق بالنور، لن يستهجن لأجلها عبادة القدماء، فإن استحقت عظمة هذا التجلي العبادة، ألا يستحق العارف بخالقها الفناء!؟**

نور النور

كشجرةِ زيتونٍ شامخةٍ رحلَ عن حقولِها المطر، كانت (هي) تختبئُ عندَ آخرِ بستانِ التفاح، خلفَ الشجرةِ الأم، تنتظرُ وصولَه (هو) بفارغِ الشوق..

كان نهاراً أخضراً مليئاً بالحياة، ربيعياً يزهو بإبداعاتِ الله، كان جمالُ الطبيعةِ الخلاب لطالما استفزَّ فيها سؤالاً قلبياً غريباً (إن كانت هذه تجلياتٌ من جمال الله، فما مدى جمال الله!؟)

ظلّت تتفكر بلا جدوى، بلا ملامسةٍ لجوابٍ شافي، الى أن أطلّ هو بوجهه البرّاق، وبابتسامته المشرقة التي تظهر عند بداية كل لقاء، (هي) مارست طقوس الحياء الفطرية، تلك الإنفعالات (اللا إراديّة) التي تُصيب المرء في الدقائق الأولى للقاء الحبيب، ولانها من أهل الحياء، كانت دوماً تُبادر الى السؤال لتلفظ أحاسيسها الفاضحة، وليختفي اللون الأحمر من على وجنتيها.. كان سؤالاً تافهاً في العادة، بسبب ارتباك العقل، مثل (أين كنت؟) (كيف الحال؟) (أكلت..؟)، إلا أن

سؤال هذه المرة كان عميقاً، قالت (يا رفيق البصيرة، برأيك ما مدى جمال الله!؟)

(هو) جلس على صخرةٍ باردة، قطف تفاحةً حمراء من غُصنٍ قريب، لمّعَها بطرفِ قميصه، أخرجَ خِنجرَه العسكري واقتسمَها معها، وقال (كل إنسان في هذه الدنيا يرى الجمالَ بنسبٍ مختلفة، قد يرى الإنسان الجمال المادي فقط، وقد يرى الجمال الكتابي، أو الجمال المعنوي، لكنني لم أرَ أروع من جمال الروح!).

ذاك الجمال الذي جعلَ قمر بني هاشم يرمي الماء بعد عطشٍ مريرٍ ليقول!! يا نفسُ من بعد الحسين هوني!!!

ذاك الجمال الذي صدحَ بثغرِ زينبَ بعد استشهاد كلِّ الأحبة لتقول!! مارأيت إلا جميلا!!

ذاك الجمال الذي أوصل أصحاب الحسين إلى مرتبةِ (مارأيت أصحاباً أوفى من أصحابي!)

ذاك الجمال الذي ختمَ قائدنا الحسين (ع) حياته به وهو عطشانٌ مرملٌ على أرض نينوى مثخنٌ بالجراح البالغة، وهو ينشد ناظراً الى السماء مخاطباً حبيبه الأوحد (اللهم متعالي المكان .. عظيم الجبروت.. شديد المحال.. غني عن الخلائق.. عريض الكبرياء.. قادر على ما تشاء.. قريب الرحمة..)

(هي) كانت تراقبه بإحساس غريب، لقد أشعلَ كلامَه جمرةَ عشقِ الحسين (ع) التي لن تبرد أبداً، فيما أكمل (هو) صادحاً (أنا الحقير لم أفهم بعد الصور الجماليّة لأحداث عاشوراء، كيف لي أن أعرف مدى جمال الله الذي لا يوصف، ولايُحدد، ولايمكن لبشر أن يفهم أبعاده.. نحن إنما نفلسف الجمال بعقلنا البشري المحدود..

إن جمال هذا الكون الخلاب ما هو إلا ذرّات فيضٍ من نور جمال الله المطلق! ولهذا فإن من عرفَ الله حقَّ معرفتِه سيصلُ الى مرتبة الفناء، فلا يرى غير نور النور..)

(هي) لم تشبع من عرفانية البوح، كان (هو) أمامها كعارفٍ أتمّ الأسفار الأربعة، ووصل الى الله من خلال صراط الجهاد وامتحانات الجبهات الحامية، أرادت المزيد، فسألت مجدداً (وأين أجد هذا الرب الجميل!)

هو أجاب مسرعاً، كشاعرٍ عذريٍ يتباهى في سوق عكاظ (عزيزتي إن الله موجودٌ في كلِ جمالٍ تراه العيون؛ وفي كل شعورٍ لنبض القلوب! قد تجدي الله في النغم والألحان.. قد تجدي الله في الفرح والأحزان! في الكيمياء والفيزياء وعلوم الأحياء! قد تجدي الله في روعة الأفلاك.. في دمعة مطر! في ومضة رعد! أو في روائح الورد!

لهذا يا عزيزتي نحن لا نشبع من بوح الجمال؛ قد نسمع

أغنية لآلاف المرات بلا ملل.. وقد نكرر الجلوس بين أحضان الطبيعة بلا وجل! لماذا! لأنها من عبق الإله.. منتهى الجمال والجلال..

{إنّا كل شيء خلقناه بقدر}.. ولكن.. نفسكِ تطوي العالم الأكبر[1].. فابدئي البحث بها..)

قال هذا ورحل، تركها تائهة في بحر بصيرةٍ بلا مركب، ولا خلفيةٍ لكيفية السباحة في موج الوعي الهادر، (هي) لم تعلم أنه كان يزرع فيها السؤال، ويستفزها لتتفكّر بالمقال، تطبيقاً لآيات {لعلهم يتفكّرون}..

(١) - إشارة الى الحديث الشريف لامير المؤمنين علي «ع» (..أتحسب أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر).

* أراد أن يختم الصلاة بسجدة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾؛
ولما سجد؛ إنهمر دمع الشفع والوتر معلناً بدء ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

Riko94

Riko94_

فلسفةُ العشق!

وحدَها قُبلاتَ الموجِ للصخرِ تؤنسُ لحظاتَ فيضِ الشعور، في بحرٍ يزيدُ عُمقاً يوماً بعدَ يوم، كُلما ألقى العشاقُ أسرارَهم من على شاطئ القُلوب..

(هي) و (هو)، وبعدَ أعاصيرِ العلاقةِ وتغييراتِ السماء، وفي ليلةِ الإسراءِ والمعراج، اكتملَ الإندماجْ بينهما، وأمسى فائق الإشتمال، وتام التساوي، كما يُشبه صخب موسيقى العروض العسكرية ألحان رياح تشرين العاتية..

كانت طلعاتُه الى سوحِ الوغى - ورغم قَبولِها والتسليم - تُمسك قلبَها بالخوف، لم يؤذها غُبارُ الحنين، ولا تُغريها جمالية البكاء، (هي) - فقط - لمْ تفهم بعد لما يقترن (الحب) بـ(الحزن) دوماً!؟ وما هي جدليَة العلاقة بين (الأسى) و(العشق)!

وذاتَ سهر، وبينما كانَ قنديلُ المساءِ يلفظُ آخر ومضات الضوء، اتخذتْ بجواره رُكناً وثيقاً، وسألتُه بشكوى (يا جامعَ بقايا الروح! أرجوكَ قُلْ لي! لما عَينُ العشقِ مُلزمةٌ

على سكبِ دمعِ الفراق!)

اشتعلَ قلبُهما شجناً، لمجرد تبادرِ فكرةِ (الرحيل)، شَعرَ (هو) ما في قلبها من أسى، تدفّقَ نحوَها بسيلِ الحب، حضنَها بلهفة، وقال (إننا كنسيجِ خيوطِ الصوف، كخيوطِ شعاعِ النور، كشعاعِ بهاء القمر، لن نفترق ولو خَفتَ القلب، ولو رقد الجسد، هذا وعدُ القدير! إننا نسيرُ بعين رحمةِ المعشوقِ الأول والأخير!)

(هي) لم تفهم عمق القصد.. تساءلت (من هو هذا المعشوق الرحيم!؟)

قالَ ببسمةِ الوالهين - كمن يقنط في الشفعِ والوتر - (يا مرهفةَ النبضات، إنّ كلَّ قصيدةِ حبٍ لا تحفظ النفس عن كل ما يوجب الإثم، و لا تقف عند حدود الورع، ولا يكون الله غاية الأمل فيها، لا بد لها من نثرِ الفراق، عند انتهاء سجعِ الحروف العمياء..

فدنيوياً، ينشد العاشق الخلود في روعة الحب، فيستمر في التضحية، والعطاء، والبذل، حتى يتلقى صفعة الختام، برحيل الحبيب، فيشيب القلب وتذبل ورود خديه، لزوال الأمل. لو عرف منذ البداية أن واجب العشق يجب أن ينعكس من السماء، لتعلم، ولما تألم..

أما نحن، فيجب أن نركنَ في العشقِ الى دليلِ النور،

ومُلهم الحبِ والسرور، فإن كانَ حُبنا في الله.. وبالله.. ولله.. وإذا تعلّقنا بعزّ قدسِ جمال الله، فلن نحزنَ أمداً، ولن نفترقَ أبداً، إنّ في سبيلِ العشق هذا لنفحات، يُصعقُ العابرون فيه من قدحِ آيات سورة (الإنسان)!

لم يوقف سحر الحديث هذا إلا تراتيل قرآن الفجر، كانت (هي) تُحدّق فيه بإصغاءِ كل آذان الكيان، نظرَ إليها بعطفٍ وهمس (**حيّ على الوصال، قبل أن يحلَّ نداءُ الحبيب يجب أن نكون في كمال الإنتظار..**)

وبأكفٍ شاخصاتٍ نحو الشفق، وأرواح خاشعة كمآذن مسجد جمكران، أقاموا صلاة جماعة، بإمامته (هو)، ورتلوا دعاء الصباح، بصوتها (هي)، حتى فاضت رحمة عشق الله عليهما..

وعلى أثر اكتمال الرقيْ، في ختام معراج السلوك، سجّل ميكائيل في اللوح المحفوظ (بأمرٍ من العلي الأعلى، تُسجل هاتين الروحين ضمن المستحقين لمكارم (ولسوف يعطيك ربك فترضى!)

كان هذا البوحُ بعضٌ من آثارِ لمسةِ فاطمة الزهراء (ع).. وما أدراكم ما فاطمة الزهراء!!

(هو) أنهى حديث العشق هذا، ودّعها كما كل مرة، رمقها بنظرةٍ تحمل (معنى ما) لم تفهمه عند الباب، ورحل..

سيلتحق بخدمته العسكرية في اليوم التالي.. سيكون غيابه هذه المرّة كخسوف القمر.. يترقب البشرُ جماله.. وتتأذى الطبيعة لحاله..

* لا يبوح المجاهد بحاجته.. فهو كالورد..
إما يُسقى (الشهادة) أو يعيش بهدوء.

اختبار

مضت أيام خدمته الجهادية.. ولم يأت بعد..

كانت (كل تكّة) ساعة يندى فيها جبينُها أكثر، ينبضُ فيها قلبها أعلى، إنّ ذلك القلب ينبضُ بكل الوجود هاتفاً (إلا الرحيل يا سماء!!)

(هي) تنتظره بفارغ الشوق، بتمام الإباء الظاهري؛ لقد أسبغت الوضوء وصلّت ركعتين قربةً الى الرحمن الرحيم.. علّ السجود والهمس لتراب الأرض يُهدئ قلق الدنيا قليلاً..

ظلّت تُحاول إعتماد التفكير الإيجابي، لكن امتهان القلوب للتفاؤل حين الفاجعة فنٌ لا يُتقنه إلا من فهم فلسفة البلاء حقاً..

كان قلبها بارد؛ في غروب يوم حار؛ عندما نادى المؤذن (حي على الفلاح)، وطُرق الباب..

كان شيخاً جليلاً ومعه بعض الإخوة الملتحين؛ تكسوهم هيبة الإيمان؛ بملامح المجاهدين البواسلِ؛ بقاماتٍ رشيقةٍ،

وهاماتٍ عالية..

ما إن رأتهم حتى انهار فيها بنيان الممثل القوي؛ (هي) أيقنت أنها ساعة استحقاق؛ إن فقد الأحبة أسوأ حدث قد يصيب أصحاب القلوب الخافقة..

جريح!! نادى الشيخ فوراً.. (هو جريح! وضعه حرج لكنه حي! هو في غيبوبة.. يحتاج لدعائكم)

(هي) مضت في غيبوبة أيضاً؛ على أمل لقائه في عالم الرؤيا؛ لتعاتبه على الاشتياق؛ وتسائله عن التعليل؛ (هي) تعرف أنه بعين الزهراء(ع) وتعلم أن فاطمة(ع) تكفل أبناءها المجاهدين.. الذين شدوا اليها الرحال ببذل..

لكن قلب المحب الصادق يشبه قلب الأم، يعتصر ألماً حتى إن علمت بأن وليدها يشعر بالبرد، فكيف إذا كان جريح.. ووضعه حرج..

ما يصبرها هو أن الزهراء(ع) أمست محور حياتها؛ تستقي منها الصبر والرضا، لقد زرع (هو) في روحها عشقاً لفاطم(ع) سيدوم حتى ختام عمرها القصير..

هرعت الى المشفى فور انتباهها، كوالدٍ أضاع ولده البريء في زحام نهرٍ مخيف، لديها من النبل ما يمنعها من الإستهتار بخطورة الحال، ستقف بجانبه بكل كيانها والقوة،

ليس بدافع الشفقة، ولا بدافع الواجب، إنما بدافع العهد القلبي الذي أمضت عليه بعينيها عند لقاءهما الثاني..

* ولا زالت السماء تفتح قلبها لشكوى المذنبين..
والعاشقين..
والوالهين.. ولم يزل ربٌ رحيم.. يستقبل الآهات بلطف..
حتى كاد العارف أن يذوب خجلاً..

الدفاع المقدّس

فتح عينيه، رآها كشلال دمع، وكقنوط فجر، تترقب استيقاظه كطيورٍ مهاجرة تشدوا فرج الوصول..

كان أول ما تمتم به بصعوبة (الحمدلله الذي وفقني لتقديم الدماء في سبيل الإسلام؛ وأستغفر الله على ذنوبٍ حرمتني من لذّة الشهادة..!)

(هي) ولفرط السعادة؛ مسحت دموع الدعاء؛ ورفعت خدود الإبتهاج؛ راحت تمسح الجرح بعتاب تارة؛ وبعطف تارةً أخرى؛ صارت تتصرف كخادمةٍ له، كانت تعلم أن خدمة جرحى المجاهدين توفيق لا يناله إلا ذو حظ عظيم..

(لقد شرفتني مولاتي زينب (ع) في المنام) قال ولمعان عينيه كلمعان قبة الكاظميين (ع)..

أعطتني ورقة مختومة؛ كُتب عليها (السلام عليك يا تلميذ أخي العباس! إعلم أننا آل بيت كرام! لا ننسى من بذل لأجلنا المهج![1] واستبشر.. فإن الوصال قريب! قريبٌ جداً)

(١) - المهجة: هي دم القلب؛ وهو أغلى دم في جسد الإنسان.

كانت تعشق أن تسمع من شفتيه روايات الكفاح، لذا وبعد ذهاب أغلب الزوار عنه، قالت (الآن وقد صفا لنا الجو، وبقيت عيناي وعيناك، قل لي كيف وماذا ومتى جدث كل هذا!)

(هو) جلس بصعوبة على سرير المشفى، احتراماً لذكر الشهداء، فليس من الأدب ذكر أسمائهم وهو ممدد الشكل، ثم بدء بسرد القصة:

لقد كنّا عشرة إخوة مكلفين بحماية احدى الطرق الفرعية التي تتصل بباب حرم الحوراء زينب (ع)، وكنت مسؤول هذه المجموعة، كان الجو بارداً حينها، و(الغطيطة) تلف ليل الشام، أنهيت عند منتصف الليل تفقّد نقاط الإخوان، والإطمئنان عليهم، كان علاء وجواد يرقدون في الكمين، يرفضون تبديله مع باقي الشباب، لم أعلم لما كل هذا الإصرار، قال لي علاء (كلما اقتربنا من العدو، كلما كنا الى الله أقرب) كنت مستعجلاً فلم أحاول إقناعهم بالعدول، تركتهم متوجهاً الى مركز القيادة لأريح الجسد المرهق من نهار طويل، لأكون مستعداً وقوياً في حال اندلعت المواجهات، وجدت السيد ياسر هناك، كان يدعوا بدعاء التوسل، جلست أراقبه بتعب، وعندما انتهى، سألته ممازحاً (شو سيد شو طلبت من أهل البيت؟) فنظر اللي نظرة شهيدٍ وقال (ولو يا قائد شو بدي كون طلبت يعني! ما حبيتها منك هاي!) ابتسمت وقلت (الله يرزقك ياها بكرا)،

لم أعلم لما حددت توقيتاً، ولم أنتبه حتى لذلك، لكنه قال (بتعرف.. عندي احساس قوي انو هيك رح يصير!).. سكتنا قليلاً، توجه هو الى النوم، لحظات ثم انتفض قائماً، وقال (سأتوسد أخشن كوفية.. وألتحف بأس البندقية.. وسأكحل العين بالتمرد.. والجفن بالثورة.. وأنام.. لأكون فجراً مستعداً لنداء دعاء العهد.. خلف الإمام!) نظرت إليه وانا أفارق الوعي، كان كلاماً يستحق التعليق، لكنني استسلمت لسطوة النوم..

استيقظت بهلعٍ على صوت السيد ياسر يصرخ (يلا قوم جهز حالك في هجوم ضخم!!)، كان صوت الإنفجارات صخباً جداً، ولا يملّ الرصاص بكافة عياراته عن الغناء، تجعبت بسرعة ونزلنا سوياً الى خط التماس، أُبلغت فور وصولي باستشهاد علاء الذي ضحى بنفسه لكي يكشف تسلل العدو.. لم نبالِ! فالموت لنا عادة.. توزعنا في وضعيات قتالية.. رفعنا رايات الثأر وألقينا غضب السماء..

ولحدّة المواجهات تفرقنا وبدأنا بالإشتباك المباشر مع أعداء الإنسانية، كنا نتواصل بصعوبة عبر أجهزة الإشارة، كنت لا أزال تحت صدمة استشهاد علاء، لكن عيني لم تفارق السيد ياسر، كان أمامي ببضعة امتار، يجلس خلف الساتر الترابي، يزغرد الرصاص منه ألحان النصر، كان

مشهداً رائعاً، ملحمة أسطورية لبطلٍ من أبناء حيدر الكرار!

وفجاءةً وقع السيد ياسر أرضاً، أصابه قناص في صدره! ولدهشة ما رأيت صرخت بلقبه عالياً! وحاولت أن أهرع إليه، فمنعني الإخوة بسبب وجود القناص الغادر..! جلسنا نُحدق بالسيد ياسر جريحاً، لم أعهد هذا الأمر سابقاً، كان ينزف الدماء أمامنا ونحن عاجزون عن فعل أي شيء، ننتظر وصول آلية مصفحة لسحبه من ميدان المعركة، كنت أراقبه بدمع العيون، وقلبي يعتصر غضباً وحزناً وثأراً! وبينما أنا أعاني من العجز والضعف، رأيت السيد ياسر تحرك، جلس مستنداً الى الساتر الترابي، وضع يده تحت ثُقب الجرح، امتلأت دماً، خضب به لحيته الطاهرة، ثم عاود الكرّة، ونام من جديد.

عيناها (هي) كانت قد وصلت الى التوسّع الكامل، على وقع ضربات قلبٍ صغير، هزّ بنبضه جسداً ارتجف من هول الحكاية، ندهت بإخفات (يا أبا الزهراء!) وطلبت بخوف أن يُكمل.. طمعاً في سماع الآتي من الحكاية..

(هو) أكمل بعد أن أخذ نفساً عميقاً (عندما رأيت هذا المشهد لم أحتمل الأمر، وقفت وهرعت إليه محاولاً سحبه، فأصابني القنّاص اللعين في بطني كما ترين، لكنني ورغم الإصابة والأوجاع (اللا متناهية) نجحتُ في سحب

السيد ياسر الى مكان آمن، عرفت بعدها بلحظات أنه نجا بنفسه من هذه الدنيا، رحل شهيداً تاركاً أخيه تائهاً في هذه الغابة، غبتُ عن الوعي وانتبهت لاحقاً بالمشفى الميداني، ومنذ تلك اللحظة أخذت عهداً بترتيل دعاء التوسل بقلبٍ حاضر، أملاً أن أحظى من الله بهديةٍ كهدية السيد الشهيد ياسر..)

(هي) قالت بغبطة (هنيئاً لك يا بلسم الروح هذا الفوز؛ لقد فهمتَ الآن لما يُسارع الشباب للكفاح! كيف لا وزينب (ع) هي المحامي والكفيل)

لقد تداركت الآن إختبار الله لها؛ فهي لم تكن مستعدةً بعد للقبولِ بنبأ استشهاده؛ ولكنها -وعلى أثر رؤياه- حقّقت مرتبة التسليم الجميل؛ بعد أن شعرت بلزوم مواساة الحوراء (ع) بأخيها وبنيها..

ورغم يقين العشق؛ وصعوبة رحيل الحبيب؛ (هي) أمست تأمل أن يبيض (هو) وجهها عند الزهراء (ع)؛ أملاً بأن يكون شفيعاً يوم الفزع الأكبر..

(هي) خلعت في تلك اللحظات آخر ثوب للدنيا عن نفسها؛ قطفت إباءً زينبياً من حقول الأحداث؛ يؤهلها لتحمل مصائب الدهر؛ بعزّة وشموخ! ويدفعُها للبذل في سبيل التمهيد لصاحب الأمل والتسديد..

كان هذا التوكل سيراً مستقيماً على خطى كربلاء؛ سيلتحقان بقافلة العشق عند غروب شمس البقيع الحزينة.. في ليل دامس ليس ببعيد..

* ولا زال ذاك النجم.. عند حلول كل عتم.. يتساءل بغيرة..

لو كان لهذا الليل لسان.. كيف كان سيبوح بعشقه للقمر!؟

شمسٌ لا تغيب!

كظلِه كانت، طيلةَ أيامِ زيارةِ الجمهوريةِ الإسلامية، تتبعُه أينما ذهب، لم تفارقْه إلا عندَ قيامِه لصلاةِ الليل، (هي) لا تزال من أهل الرقودِ الطويل، والاستيقاظِ الأخير، كان يُردّد لها باستمرار (يجب أن نستغل ما تبقى من يقظة بتزكية النفس وآداء التكليف، لنستحق الراحة عند رقدة القبر الخالية من الأحلام..!)

ولكنها في ليلةِ الوصول، لمقامِ الملكِ المأمول، السيد الإمام عليّ ابن موسى الرضا (ع)، لم تستطعْ أن تغفو، كان لهبُ (شمعة) الليلِ يتمايلُ على أنغامِ الرياح، شمعةٌ تذوبُ لتضيء لهم الفضاء، كما الشهداء، يحترقون لكي يُنيروا لنا الطريق..

لقد وصلوا الى مدينة مشهدِ في آخر الليل.. فتأجلت زيارة المقام الى أول الصباح..

كانت تحدّقُ في الشمعةِ وهدوءِها.. وذوبانِها - لم يدرِ صانعُ الشمعِ أنّ في توقُّدِها نفحاتٌ ملكوتيةٌ من عالمِ

الغيب - وكأنّها تُصغي لسُكون مدينةِ طوس القديمة، من على شرفةِ الفندقِ العتيق، (هو) كان يرتشفُ قهوةَ إيرانيةَ مرّة، غارقاً في صمتٍ عميق!

وفجأةً!! انتفضَ واقفاً، قائلاً (لن أنتظرَ حلولُ الفجر!! قتلني التفكير بروعةِ اللقاء!) وبسرعة تجهّزَ للنزول، وراحَ يركضُ كمسافرٍ يلحقُ بقطارٍ لا ينتظرُ المتأخرين..

لم تستطعْ مجاراته، لقد سبقها الى الضريح، (هي) وصلتْ بعد أن تلحّفتْ بعباءتها الفارسيّة، وشالَها الأخضرِ المعطرِ برائحةِ العود، وبدأتْ تبحثُ عنه دون جدوى.. بلا أثر.. (رحماك يا الله! أين اختفى ذاك القمر!)

عادت الى المنزل بقلق، جلستْ بقربِ نافذةٍ مطلةٍ على قبةِ الرضا النوراء!، تنتظر.. وتنتظر.. تلتفت مرةً يميناً، وأخرى شمالاً، لقد انشغل بالُها كثيراً، ولولا انسُ انيسِ النفوس لما تحملتْ عبء الإنتظار..!

أتى بعد ساعة ترقّب، وأجفانُه كنبعِ صيف، وقال (لقد نزلتُ الى الضريح الأساسي، واتخذتُ خلوةً لنفسي.. كم هو مدهش هذا الضريح، رغم غربة صاحبه، إلا أن (الأنس) بجواره لا يوصف، يُطلِقُ عنانَ الروح، للتحليقِ في عالم الجود، لا أعتقد انني سأنال أنساً شبيهاً الى عند لقاء الشهادة المطهّرة!)

(هي) لم تنس تلك اللحظات طيلة حياتها الباقية، إنه شهيدٌ يودّع الآل قبل الرحيل، سيذهبان الى قم المقدّسة في الليالي التالية، هناك سيتوهج الولاء في (جمكران)! هناك ستكون خاتمة زيارة العشق في إيران..

*** لا يبوح المنتظر للإمام (عج) بشوقه لثورة القيام.. فإما أن يسكب**

دمع الصبر عند ندبة الفجر.. أو يتأوه في محراب الفكر بسجدة تمهيد.

سأراك..

في قم المقدّسة، أوقفه عالم دين نوراني، عليه سمات الأنبياء، وضع يده على كتفه، وقال (يا بني، عليك بجمر جمكران، أقم صلاة الليل هناك، إن فيها لك بشرى، وهديٌ الى صراط المقربين..)

(هو) لم ينتبه لأبعاد هذا الحديث، كان مشغولاً بزيارة السيدة المعصومة (ع)، وبتأمل روعة المكان، وجمالية البنيان، لقد جلسا هناك طويلاً، بلا كلام، ولا سلام، يُحدقان بكل تفصيل..

همس لها (غريبٌ كيف تأنس الأرواح بالمقامات وتبتسم، كأن الإرتياح لها لا يرتسم، إلا عند أعتاب الأولياء من آل بيت محمد!! ربما لأن مشاهدهم تُعدُّ مزاراً لأرواح من سبقونا على هذا الطريق..)

لقد أكملوا المسير الى الجبال البعيدة، في ذلك الليل، (هو) غفا في إحدى زوايا العشق في جمكران، بعد أن أتمّ الصلوات، وأسبغ الدعوات، وذرف الدموع الباقيات، بندبة

وعهد وسمات، (هو) بكى ما بين إيران والعراق كثيراً، بكاء الفاقدين، حتى كادت المقل في عينيه تُعلن جفاف الينابيع..

(لقد شرفني في الرؤيا!! لقد رأيته يا عزيزتي!)

صرخ ودمعه يرسم خطاً بلورياً على خديه، ولهفة عينيه تختصر سعادة اللحظات...

(هي) قالت باستغراب (ومن ذا الذي أفرغ عليك عشقاً وأحالك من المستبشرين...!!؟)

جلس بقربها، صفن قليلاً بالقبة الخضراء لجمكران، وتأوّه (لقد آتاني على حصان أبيض، يحوطه ثلاثة أصحاب، كأقمار الليالي البيض المتوهجة، ونادى (أنا المرابط في سبيل الله، سأكون حاضراً عند عروجك بالشهادة، أيها المخصوص فينا بالولاء!)

(هي) تذكرت حديث الرسول الأوفى (ص).. عندما قال: (من أحسن الوفاء استحق الإصطفاء).. نظرت في عينيه البرّاقتان، لم تر فيهما إلا كل الوفاء، وكل الولاء، وكل الحب، وكل الفناء، لقد حدّثت نفسها قائلة (حقاً إنك تستحق أجمل اصطفاء!)

وحين دقّت ساعة رحيل الأجساد عن جمكران - وبقاء القلوب - وقف مجدداً بهامته القتالية، ضارباً تحيةً عسكرية

شديدة البأس، مردداً (اللهم.. كن لوليّك.. الحجةِ ابن الحسن..) وصمت.. لم يستطع أن يختم دعاء الوله جهراً، أكمله سراً، بلسان آهات الوداع، وتراتيل نبضات قلبٍ يعاني الغربة..

(هي) مسكت يده بإحكام، وقالت (إننا نعيش بعين الإمام العطوف، ونسير بتسديده، فلا تحزن) حضنها ومشى، لم يلتفت الى المقام، راح يردد آيات سورة العصر، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.. ثم نظر إليها وقال (**شروق الشمس لا ينتظر النائمين! وظهور الإمام لن يمهل الغافلين! إني أرى المهدي بيننا يتجهّز للقيام! أفهل نحن على استعداد لمبايعته إن قام!!** فدائماً ما كان (كيف) الموالين هو من يُحقق لهم الإنتصار أمام (كم) العدو، فإن ارتقى الكم الكبير للمؤمنين الى مستوى (أوفى الأصحاب)، حينها - فقط - يكون التمهيد لثورة القائم (عج) قد بلغ منتهاه..)

١

* ادفنوني ليلاً سراً ولا يشيّعني إلا الأقربون..
فأنا من عشاق فاطم.. وما كان عليها عليّ يكون.

حب الزهراء أجنني

وصولاً الى (عين) الأبجدية، لم يجرؤ على زيارة البقيع، إن قلبَه الهائم بحبِّ جدته فاطمة (ع) لا يحتمل رؤية رمالٍ وحجرٍ على القبر فقط، كان يردد دوماً (إنّ أعظم ضريحٍ للزهراء هو قلبُ العاشق العارف بقدرها..)

لكنه وفي رحلة العمرة، مرّ بدموعه بالقربِ من البقيع الغرقد، بقي في السيارة، لم يتحملْ المشهد، (هي) قالت له (هيّا لننزل قليلاً.. نتبرك من طهارةِ المكان..) (هو) كان في عينيه ألفُ رواية، وألف شكوى، وألف ألم، من ينظر اليه يرى فيه يتيماً، يُحدق بضريح أمّه الحنونة. إنّ الزهراء هي الأمّ الرءوفة لأبنائها المجاهدين والشهداء..

(هو) قال رامقاً القبور من بعيد (عندما يظهر الإمام.. سيبني المقام.. حيث اجتماع الحمام.. سيكتبُ على باب العتبة.. هنا ضريح أمّ السادة يا شيعة!.. وستزحف البشرية بالآلام.. وسيُقيمُ الكون عزاءً عالمياً.. بحضرة الإمام! فتخيّلي!)

(هي) صُعقت من هول الفكرة، وروعتها، ولمدى (جماليّة) الأمل لديه.. (هو) أكمل:

(لو كنا نريد من التمهيد لظهور بقية الله الأعظم (عج) معرفة مكان قبر فاطمة (ع) فقط.. لكفى! كيف والأمل دولة فاطميّة عالمية!!!)

(هي) فاض فيها الشعور، وطفح الشوق، ضاق القلب بدمع الولاء، فبكت.. بكاءً يرسم لها طريقاً الى كربلاء فاطمة! قالت بحزن الزفير (السلام عليك يا مكسورة الأضلاع!)

وما إن تلفظت بذلك، حتى خضّبت دموعه لحيته الخفيفة، وذاب القلب حباً بالعفيفة، وارتجف منه الكيان، لهول الفاجعة! وصرخ! (أوتظلم فاطمة!! وفينا عروق نابضة بالعشق صارمة! لا وألف كلا! هي ثأرٌ لا يهدأ! وجرحٌ لا يبرأ! وحقٌ لا يبور! عشقٌ ينسكب على الظالمين فيخسف فيهم أديم الأرض! ويُغرقهم في حريق النور!)

أكملوا المسير الى مكان الرقود في تلك الليلة الحزينة، أجلسها بعد تناول العشاء، وبعد الفراغ من آداء فروض الحب مع المعشوق الأوحد، حدّثها فقال :

(إن أمنا فاطمة الزهراء، هي النموذج الأكمل للإقتداء، فهي تمام الأخلاق، والعلم، والحلم، والعفة، والطهارة! هي أجمل ثورة، وأروع تمرد بوجه الباطل، هي كل الحق،

ومجمل الحقيقة، وخطبتها الفدكيّة كانت أول مدماك في الولاية العلوية المقدسة، ومهما تكلمت، لن أوف حقها، فهي المجهولة قدراً! وصيتي لك يا عزيزة الروح، أن لا تغفلي عن ما تريده فاطمة منك، قولاً وعملاً، بكل ثانية، في هذه الدنيا الفانية..)

هم أنهوا مشوارهم الأخير، في بقيع فاطمة! (هو) رحل تاركاً الروح تبحث في اللامكان، مضى ونبضات قلبه تنادي (قومي أماه!)، مشى والدم يهتف - في شرايين الولاء- صارخاً:

ومن أنا.. ومن أنا.. حتى أدفن معروف المدفن! وفاطمٌ مغيّبٌ قبرها عن الأعينِ!!

أيا صاحب الأمر ليتك تدلّنا! على قبر جدّتك الزهراء لننحني!

وندعوا بذاك القبر فيذهب همنا! ويبقى في القلبِ غمٌ مُدفنِ!

لضلعها المكسور سيدوم حزننا! وثأرها لا يُنسى طوال الزمنِ!

وثأرها لم يُنس طوال الزمنِ! وثأرها لن يُنسى طوال الزمنِ!

* شرب الشارب كأس الخمرة علَّ الخمرةَ تُسكره..
لم يدرِ أن اسم علياً كأساً يُسكرُ ذاكره..

هو ذا حيدر

بمجرد أن لمحَ القبةَ البيضاءَ لأميرِ النجف، حتى طأطأ رأسَه خجلاً وحياءً، (هي) كانت تراقبُه طيلةَ أيامِ الزيارة، وتتساءلْ (ما كُلُ هذا الغرام؟!)

لم يتمالك نفسَهُ عندَ دُخولِ المقام، ولم يذهبْ مباشرةَ الى شباكِ الضريح، (هو) تربّعَ على يمينِ العتبةِ المقدّسة، يسكبُ دمعَ الولَه والعزّة والفخار..

(هي) جلستْ بجنبهِ تواسيه، رأسُها على كتفيه اللذان يهتزان لفرطِ توهج الحب، كان يردد بشجن (أنا روحي فداك يا أبا الحسن..)

التفتَ -بحمرةِ أجفانه- إليها وقال (إنّ كلَ رجالِ العالمِ تُقاسُ بالحق، إلا هذا الملكُ المقدّسُ يُقاسُ الحقُ به، فهو يدورُ معه كيفما دارّ!! هذا الإنسانُ قد طَبّقَ العدل بتمامه، هذا أُستاذ البشريّة، ووليد الكعبة، هذا أول من أسلم، وأفضلُ من تيمّم، هذا قائدُ الغرُّ المحجلين! ويعسوبُ الدّين! هذا فاتحُ خيبر! وفارسُ صفين! هذا سيدُ سادات الأمم! هذا كمالُ

الأخلاق! وتاجُ الولاء! هذا وليّ الله يا ناس!)

(هي) ابتسمتْ وقالت، والأجملُ أن هذا هو زوجُ فاطمةَ الزهراء!

نظرّ (هو) اليها نظرةً رحيمة، وابتسم، فلقد أمستْ تُفكرُ مثله، وتتكلم مثله، وتتحرك مثله..

كانا يُصغيان الى القارئ وهو يصدح بدعاء كميل، بوجْدان وحب، وبعد الإنتهاء من سجدةِ (أتسلط النار)، نظر إليها وقال (لولا آهات كميل ابن زياد في ليالي الجمعة الحالكة.. لامتلأت صحيفتنا بالذنوب!)..

كانت هذه الزيارة للعراق بأوائل شهر شعبان، كانت نجوم السماء المشعّة تُنيرُ ليالي النجفِ الحالكة، لقد رقدوا سوياً في مقامِ الأمير (ع) لساعات، بين دعاءٍ وصلاة، وتنظيفِ للبلاط، وتمسُّكِ بشباكٍ متين، يُعزّزُ الدين، ويُشعلُ الانتماء..

إنّ التنفسَ في حضرةِ أميرِ العشق (ع) يُنعشُ الأرواحَ المولعة بحبِ حيدرة.. كما يُنعش العارفين قيام الليل..

كان المصلون هناك يركعون كما تركعُ السنابلُ أمامَ نسائم الهواء العليل، يسجدون كما تتساقطُ الأوراقُ خضوعاً لفصل الخريف.. كان الحمام يملأ زوايا المقام.. جنةٌ لا مقام.. وملائكةٌ لا حمام.. أدركت مقامَ الموجود في القبر..

فحفّت بالعتبة المقدسة تبركاً.. كسباً لنورانية الضريح..

عند الوداع.. وقفَ (هو) بهامته الملكيّة، ضرب تحيةّ عسكريةّ حازمة، دامت لدقائق -صامتة-، بوجهٍ عابس، كوجه مالك الأشتر، وخشوعٍ كصلاة ميثم التمار، كان يُجددُ العهدَ والوعدَ على الإلتزام بنهج جدّه حتى نفاذ الرصاص.. وتهشّم الدرع.. وسقْيِ الأرضِ بدمِ فوّار.. لا يحيد أبداً عن شريان الولايةِ العلويةِ العليا..

رحلَ مبتسماً وهو يُتمتم (الى عناقٍ قريب..) (هي) رأت في عينيه شهيد، وفي همساته شهيد، وفي حركاته شهيد، قبل أن يستشهد.. كذا هم الشهداء.. يرحلون قبل الرحيل..

* بتنا نحتاج لعاشوراء.. وكأن مرّةً في العام لم تعد تكفينا!

الحسين ثورة!

وفي آخر رحلة خارج حدود الوطن، توجهت هي والشهيد الى قبلة الأحزان، ومنبع الثورة، الى كربلاء، حيث لا زال أبو عبد الله الحسين (ع) يُلقن العالم درس الحياة، والوفاء، والفداء، لن يطيلوا المكوث لأكثر من ثلاثة ليالٍ، لأنه مرتبطٌ بموعدٍ مع رفاق السلاح في حرم العقيلة زينب (ع)..

(هي) كانت تعلم ان هذه الرحلة لن تُشبه مثيلاتها، فالحسين (ع) سيد الشهداء، وأبو المجاهدين، وراعي نداءاتهم في سوح الوغى، كانت تشعر بأنه جاء ليأخذ الإذن، إذن اقتحام الموت بالموت، والالتحاق بقافلة النورانيين من شهداء نينوى..

عندما وصلوا الى كربلاء، طلب من السائق ان يُنزلهما بعيداً، أراد أن يذهب مشياً، (هي) ظنّت انه يُريد تطبيق طقوس المشايّة، كما في أربعين عاشوراء من كل عام، لكن ليس هذا ما كان يجول بباله، (هو) قد تملكه الخوف، أسرتْه نفحات الطف، كاد قلبه أن يتوقف عن الخفقان، لم يتحمل

دخولاً سريعاً، أراد أن يتوقف بمنازل شتى قبل الولوج في مملكة الحسين (ع)، كمركبٍ ضخمٍ قد ملّ من هدير البحر، يُخفّف من سرعته قبل الإرتطام بالمرسى..

وصلوا على مشارف الضريح، وقف قليلاً، أغمض عينيه، رفع كفيّه نحو السماء، همس بدعاء الشُكر، وأكمل المسير، (هي) كانت تنظر الى القبة النوراء تارة، واليه تارة أخرى، استغربت عدم نياحه، ونحيبه، قلبٌ كقلبه المرهف بأحاسيس الحب لآل بيت محمد يجب أن يمتلئ دمعاً عند ملاقاة المقام! لكن عينيه اكتفت بالتستّر بغشاء لامع..

(هي) انتابها الفضول، مع بعض الإنزعاج والفتور، أرادت ان تسأله، لكنه كان مشغولاً بزيارة عاشوراء، قام بعد التعبد بالتجول بين زواية الضريح، قطن هنا قليلاً، وهناك فينة، وما إن عاد الى باب الحضرة، حتى سجد وجلس رغم ضيق المكان، همس لها من بين ضجيج الزوار (هذا أكثر الأبواب قداسة في العالم، بابٌ يدخل اليه المرء بذنوب ثقال، فيخرجُ منه بنقاء الثقلين..!)

بعد اكتمال الأعمال جلس يُحدّق في المكان، وكأنّه عاشقٌ على شاطئ بحر هادئ، بوجهٍ نوراني كقمر ليالي الغاضريّة، ولحيةٍ مهذبة تبدو شقراء مع لمعان خيوط الشمس، وشعرٍ ناعمٍ طويل يتناغم مع نسائم المدى بين

المقامين، كم كان يبدو جميلاً في شاله الحسيني الثوري، بنظرة الإباء الزينبي، (هي) سألته بعد هدأة دهشة اللقاء، وابتعدوا عن أنين المحتاجين، (يا حفيد فاطمة، لمَ لم أراك جازعاً أو غاشياً على وجهك في زيارة من مات عطشاً!)

(هو) وبأدب أهل البصائر أجاب (يا عزيزتي، ويا رفيقة الدرب، إن ولائنا للحسين (ع) نابعٌ من استقامة العقل والقلب، وهو الذي نادى السيوف لأخذه إرباً في سبيل استقامة الدين، فدمعنا لأجله ثورة، ومجالسنا عنه تمرد، وحزننا عليه قوّة، ومنه نستمد الحزم والعزم، فملحمةُ الطف ليست إلا مدرسةً للبأس، وللرقي، وشعلةً لحضارة الإنسان مدى الدهر..

ألا تعلمين بأن كافة الكربلائيين الحسينيين يرون الموت أحلى من العسل! كما رآه القاسم ابن الحسن في ليالي عاشوراء..

ألا تدركين بأن بوح العباس عندما كان بقمة العطش والتعب ولمس عذوبة الفرات فقال (يا نفس من بعد الحسين هوني!) ورمى الماء، يُعتبر أجلى وأجمل وأسمى صورة للإيثار في التاريخ!!

ألا تلمحين عابس ابن أبي شبيب كيف خلع رداء الدنيا وتسامى في ليالي الطفوف حبيباً خاصاً، فقاتل القوم بسيف عشق الحسين!!

ألا تسألين كيف تحمّل سعيد ابن عبد الله الحنفي عدّة سهام في جسده وهو يُحامي عن سجود مولاه أبي عبد الله!! ثم يسأله (أوفيتُ يا ابن رسول الله!!)

ألا والله إنهم قومٌ قد سكبوا في كؤوس الأحداق نوراً حسينياً في سحر ليالي نينوى، فاشتعلوا شوقاً جعلهم يذرفون العشق بدل الدماء، ويتحدثون بلغات أهل اليقين.. تحت شمس نهار العاشر من محرّم العطوفة..

لقد كان العزم فيهم كحزم عزرائيل، فلولا قوانين الكون وقواعد المنطق، لقاموا يقاتلون الموت بحبهم للإمام (ع)، عندما نادى وهم رقاد، أن قوموا من نومتكم يا كرام!!

(هي) أردفت معلقة (إذن انت تقصد اننا يجب ان نقتدي بالحسين، لا فقط ان ننتمي اليه؟)

(هو) أجاب (نعم، إن الحسين سلوكٌ ومنهج، آداءٌ وفعل، قد خذلَ الحسينَ (ع) من ظنّ أنه مُجردُ دمعةٍ بلا فهم، الدمعة في حبِ الآل هي إصرارٌ على تحقيق الإقتداء التام، منافقٌ من ادعى الإنتماء وهو ليس من أهل طاعة الله!)

(هي) استغلت الوضع لكسب مزيدٍ من البصيرة، فأضافت (وكيف نكون أهلاً للانتماء لهذا النور؟!)

قال لها (هيا لنذهب الى مسجد الكوفة، هناك سأخبرك

بدينِ محمدٍ الأصيل، الدين الأصلح الذي وهب لأجل قيامه سادات الأمم أغلى الأعمار..)

(هي) رافقته بشوق الوصول، كانت مهتمةً جداً لتعرف كيف يرى الدين، من منظاره بعيد المدى، (هو) سيسحرها بروعة البيان في صفحات الرحلة التالية..

*** إنّ المتدين في المعاملات أرقى من المتدين في العبادات بمراتب من نور..**

دين الإنسان

(هو) ولأهميّة السؤال، استوى على سجادة صلاته، صلى على سيد الخلق محمد وآله، وقال ببسمة من أتم استغفار المساء:

يا زائرة الحسين، إعلمي أن الإمام استشهد لكي يستقيم الدين، ولكن أي دين؟

الدين هو الإسلام، ولكن ليس الإسلام الذي تربينا عليه، فالإسلام يا عزيزتي ليس فقط في الصلاة والصوم والحج الى بيت الله، ليس في عدد الركعات أو الزوجات، ولا في الخوف الدائم من عذاب العقارب والحيّات!

الإسلام الحق يتمحور حول المعاملات، التي من المفروض أن تنتجها العبادات، في ترك الغيبة، والكذب، والنميمة، والبهتان، في ترك القيل والقال، في الخوف من أذية قلوب الآخرين، الإسلام يا حلوتي في النظافة والاناقة، في مساعدة عاجز، أو إدخال سرور على قلب مغموم، فمن أضحك طفلاً دخل الجنة! ومن أحزن أنثى ولج النار، ومن

كان صديقاً كان وفياً حفظ السر وكان نقياً فاز بمرضاة الجبّار!

وأيضاً فإن الإسلام عند المنكسرةٍ قلوبهم، فمسحة يدٍ على رأس يتيمٍ أو مسكين، قد تختصر سماحة المحبة في وصايا الدين!

فالإسلام ليس ممارسة فردية فقط، قد يتآكل فيها المؤمن بعفن (الأنا)! الإسلام ميدانه المجتمع! في (حب لأخيك ما تُحب لنفسك!) هذه المقولة العظيمة التي طوّرها أبو الفضل العبّاس (ع) في فعل ترك الماء على شاطئ نينوى تآسياً بعطش أخيه الحسين (ع) فأصبحت (قدّم ما تُحب لأخيك على ما تُحب لنفسك!) هذا هو إسلامنا الجميل!

والدين ليس تهويلاً وتخويفاً من الله، فإن التربية المبنية على الخوف والرعب من الله خاطئة جداً!! فالله ليس مخيفاً، ليس (بعبعاً)، إنما المقصود هو الحذر من العدل الإلهي، فالله أرحم الراحمين! وكل الوجود فاض من رحمته تعالى..

ثم من قال أن الإسلام يتعارض مع الحياة، او السعادة، او الحضارة!! هذا محض جهل وافتراء!

الحياة الإسلامية ليست كما يُصورها بعض السذج، فلم ولن أفهم بعض (المعقدين) الذين لا يعيشون العمر بملئ كُلياته.. فلا يهتمون بالأناقة.. ولا بالموسيقى.. ولا بروحية الشتاء.. ولا يُحبون الشعر.. ولايدونون القصائد..

ولايتحفهم إبداع رسم!

الحياة بتفاصيلها أجمل.. باستنشاق رائحة الخبز من فران الحي.. بالتباهي بألوان الطبيعة.. بالاستماع لسمفونية هادئة على نهر عسلي.. أو بإطالة النظر في مدى البحر.. أو بفرحة تقديم وردة جوري حمراء لمن نحب..

الحياة -كما يريدها الإسلام- تكون مليئة بالحب.. بالسلام.. بالطاعة.. بالفرح.. بالسعادة.. بالتكافل.. بالبر.. بالكرم.. ولهذا كان رسول الله (ص) يشتري العطر أكثر من الخبز.. ويغير أسماء أصحابه القبيحة الى أسماء أجمل.. ويدعو الى الحب والى تبادل الهداية.. ويقول (أنا أكره أن أرى في دينكم غلظة).

الحياة إذن في الذائقة.. في الإحساس.. قد تختصري روعتها بأن تأخذي نفساً عميقاً لذكريات غابرة تعبر كيانكِ عند سماع موسيقى قديمة.. أو أن تفتحي عينيكِ وقلبكِ عند مرور نسيم عبير شجرة الكينا عند ناصية الدرب..

بل أكثر من ذلك، إنني على يقين انه وعندما تصل المجموعات البشرية الى النظام الأنسب والأكمل لحكم العالم، سيكونون قد وصلوا الى ما نُسميه نحن اليوم بالإسلام!

ولكن وللاسف أخطأ البعض بفهم إسلامنا الجميل،

فانحرف في التطبيق، وقدّم صورة كارثية قبيحة جعلت باقي الأمم ينفرون منّا، مع أننا لو أحسنّا الآداء لكنّا من أشد المجتمعات جاذبيةً للإنسان، ولدخل البشر في دين الله أفواجاً بلا استدعاء..

(هي) أحبّت ما باح به كثيراً، فلم تسمع قبلاً بهذا الكلام رغم انه مجبول بفطرة الإنسان، ومستقى من سيرة الأنبياء والأوصياء، حضنته وأكملت الطريق، الى فندق النجف الأشرف، هما سيعودان الى بيروت في فجر اليوم التالي.. بعد ان انتهت زيارة كافة العتبات المطهرة، وأشبعوا القلوب من معين علمِ سلاطين الفضائل والكمال..

* نحن يا بيروت شعبٌ عاشقٌ لا ننحني إلا لقطف الورد..
وردٌ تغذى من دم الشهداء، وردٌ تفتّح مع دعاء العهد!

Riko94

Riko94_

اشمخي بيروت!

في الطائرة، وما إن لاحت معالم جبل لبنان وشموخ صخرة الروشة في ساحل بيروت، حتى قالت (غريبٌ هو هذا البلد، على قد ما حلو على قد ما في مشاكل..)

(هو) مسح زجاج النافذة بكم يده، وقال (صحيح، فلشدّة جمال لبنان، أصابته شهوة عيون الدول فانهالوا يتعاركون عليه كسباً للذةِ جغرافيتِه الساحرة، فتمزّق ثوب البلد الساترِ لعيوبِ أهله، وانكشف مدى بُعد القلب عن العقل، وانفضحت تجاعيدُ الجسدِ المترهلِ من عذابات سنين الحرب، ومن نهشِ الأهلِ للذات، ومن طعناتِ بعض أبنائه المنافقين، لكن تبقى رموشُ هذا الوطن تذبح الأعداء.. بجمالية المقاومة!)

(هي) عقبت قائلة (فعلاً، فمقاومة العدو والإنتصارات المحققة على أيدي المجاهدين وحدَها ما تملأ اللبنانيُّ فخراً وعزّة، فالمجد كل المجد لدماء الشهداء..)

(هو) أضاف (المقاومة أجمل ما حدث لهذا البلد على مرّ

التاريخ! فسلامٌ على المجاهدين الذين يبذلون التضحيات لينعم هذا البلد بالامن والأمان، ويبقى سالماً مستقراً من هزائز المنطقة وخطر الجماعات الإرهابية التكفيرية، حقاً إن المقاومة نعمةٌ تستحق البذل، وسيدُ المقاومة نعمةٌ تستحق الحب، وكلاهما يستحقان تمام الشكر..

ولكن ورغم تعلقنا الكبير بهذا الوطن الغالي، إلا أننا وبأمرٍ من الدين القويم، نقف الى جانب أي مظلومٍ في هذا الكون، فقلبُ المؤمن كونيُّ الإهتمام، فحيثما هناك إنسانٌ مستضعفٌ فهو لنا وطن، وهو لنا جهاد، وهو لنا قضيّة.. هذا ما تعلمناه من منهاج رسول الإنسانية..)

وصلت الطائرة الى مطار بيروت، توجهوا الى منزل الأهل، وبعد هدوء حفاوة الإستقبال، قال لها (أتعلمين يا كل الأنس، رغم أن الإهتمام الزائد يؤدي الى انزعاج ونفور المهتم به.. وإغتمام المهتَم! ورغم ان علينا أن نتقن تطبيق (ذكاء المسافة).. تمرساً للباقة الوصال.. وأن نتقصّد الإبتعاد لفترات.. كسباً لأثرِ الشوق المرسّخ للعلاقة.. لنحظى بدهشة القلب عند كل قُرب.. ولكن بسبب عملي وغيابي المستمر، أنا أطبق هذا الأمر بشكلٍ دقيق، ولهذا أنا دائم الإشتياق والقلق عليك..)

(هي) وبفرحة عاشقٍ تمنى، فكان ما تمنى، اختصرت كل

ما يختلجها من مشاعر، وقالت بثقة القلب (أتعلم أني أُحبك حقاً، أُحبك جداً)!

(هو) كان يُحب استفزازها كثيراً، ليُخرج منها مكنون الشوق، وبواطن الآمال، أجاب (ولكن يا عزيزة الروح، إنّ هذه الكلمة فيها من القداسة ما يجعلها لأهل العشق خاصة، فإن لم تُترجم حروفها في ميادين الفعل، فلا معنى يُستساغ لها، فالكثير من الذين يصدحون بها يفشلون في إتمام جمالية التطبيق، وحدَه الآداء بحبٍ عند حوادث الدهر يُعتبر بوحاً صادقاً للقلب)

لقد استفز فيها كل شيء، كل وريد وكل كرة دمٍ حمراء، قالت له بغضب (ستكون أنت شهيد الواجب، وسأكون أنا شهيدة الحب!)

ابتسم لطفولتها بين يديه، وعقّب قائلاً:
ثاني (أحبك) لا تزيدُ بريق العين (أحبك) لا داعي لقولها مرتين!!

حضنها في تلك اللحظة بلهفة لم تشعر بها سابقاً، كان أطول عناقٍ بينهما منذُ بداية الحكاية، (هو) أدى فروض الوداع، فقبّل جبينها بشهيقٍ طويل، وقبض على يديها بشدّة، أطال التحديق في عينيها حتى أربك منها الوقوف، فهمست له بحنان (شو باك حبيبي ليه هيك عم تتطلّع!)، ابتسم وابتعد،

وأنهى اللقاء مشياً مباشراً، بلا مواجهةٍ والتفاتٍ للجسد.. (هي) استغربت هذا الأمر، لكنها ظنّت أن إرهاق السفر قد أنساه ما لم ينسه عند أي رحيل سبق..

(هو) سيلتحق بجبهات القتال في اليوم التالي، كان التقاء العيون في ذاك العصر هو الأخير.. (هي) خلدت للنوم فرحةً بما كان، لكنها لم تعلم بما سيكون، ستستيقظ على نهارات جديدة خالية من بسمة الحياة، يُمارس فيها الأمل غروب الشمس.. بلا فجرٍ جديد..

* قد تعاند العقل دهراً لتفهم بعضاً من يقين الرحيل..
لكن مكوثك قليلاً في جبهة حامية سيجعلك تأنس بحكاية
العابرين.. وبقايا المسافرين.. فيحزم القلب بدهشة الأثر
محدودية الأعمار.. وإن لم تراهم عيناك..

ولادة شهيد

وعند (شين) ما قبل ختام الأبجدية، حلّ تاريخ ذهابه الى ميادين الكفاح، كانت روحه قد سبقته في العروج، (هو) يشعر بسموْ داخلي مرهف، كهدوء منابر مساجد القرى النائية، وباطمئنانٍ مبعثر، كعريسٍ يصلي آخر صلاة عزوبية، وبخشوع النبضات، كعاشق يرتل دعاء البهاء في سحر ليلةِ النصف من شعبان..

لقد بدأ يشتّمُ رائحة الورد في كل مكان، ويتذوق في مطرة الماء الرحيق المختوم، (هو) وصل الى الإسراء الأخير، منتظراً لنداء البشير، ووفود الرفيق عزرائيل، إن أرواح المجاهدين لا تخضع لقوانين جاذبيّة النزع، فهي تُحلّق بشوقٍ بمجردِ الإستدعاء.. نحو السماء.. حيث اجتماع أرواح الشهداء..

في الليالي الأخيرة، كان في عينيه نورٌ غريب، لا يشبه ضياء هذا الكون، أصبح كما الأنبياء، يوصي أينما ذهب، بحروف من ذهب، يتحدث عن الزهراء(ع) بلا سبب،

ويُثقل العتب، على كل من يهمل بقية الله، موقداً في القلوب ولاءً من لهب..

كانت الأحداث الآتية حكاية ليلة القدر من رمضان، كانت الحرارة تخترق أديم الأرض، والملائكة تضج في سماء الكون، هو كان كما (سورة المدّثر)، قائمٌ بالليل، صائمٌ بالنهار، أسدٌ في القتال، لقد ختم القرآن ببضعة ليالٍ، كما فعل حبيب ابن مظاهر في ليالي كربلاء الطفوف..

ومع تسارع اللحظات، والنبضات، في عتمةِ ليل الوداع، لمع منه بياضُ النور، والوله والسرور، وانقلب فيه الحال، وتوهّج البال، كراهبٍ تـزود من تشريعاتِ مناسك العاشقين، فأمسى بكاءً حزين، كعارفٍ صُعق من كأس (يا أيها الإنسان! ما غرّك بربك الكريم!) واشتعلَ من فيضِ الصحيفة السجاديّة.. محققاً مفاز المتقين..

وفي فجرِ الرحيل الأخير، توضأ بالحب، وتجهّز للوصال، وقف في المحضرِ خاضعاً لعظمةِ الحاضر، رفع كفّيه المرتجفتين، ونطق بالحق (الله أكبر!)، فتزلزلت الروح لجلال (ألستُ بربّكم!)، ولمّا وصل الى (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين..) خرّ صعقاً، لانكشاف بصيرة القلب، لجمال رحمانية (إلا ليعبدون!)..

أتمّ صلاة المئة ركعة، وأنهى دعاء الجوشن الكبير، وسبّح تسبيحة الزهراء، ثم لبس بدلته العسكرية الجديدة، (هو)

يريد أن يكون بأحلى حُلى عند لقاء الأحبة، وضع خوذته القتالية، المربوطة بعصبة (يا صادق آل محمد..) الحمراء، تأكّد أن المصحف موجودٌ في جعبته، وأن صورتها (هي) في جيب كتفه، لقّم السلاح، وقبّله بحنان، وتوجه لميدان ارتقاء العابرين مردداً (حي على خير العمل..!)

هناك، وعلى جبهة الدفاع الأول عن مقام العقيلة زينب (ع)، كانت الإشتباكات تهزُّ أركان دمشق، ووميض القذائف يُنير ليل جبل قاسيون الشاهق، كان المجاهدون قلّة، بشفاهٍ قد أرهقَها حرُّ الصوم، ورماد الكفاح، بوجه مئات الإرهابيين التكفيريين..

اشتدّ وطيس المعارك، وعلا عويل المدافع، وعادت كربلاء، فاستشهد كُميل، قائد المجموعة، بطلقة قنّاص، فارتبك المقاتلون، وبلغت القلوب الحناجر الحرّة. ثبت بعض المجاهدين، ممن انتصروا في ميدان النفوس، قبل تجريب الجهاد الأصغر، كانت لحظة مصير، لحظة قرار، لحظة اختيار المرام، صرخ أحدهم (علينا أن نفعل شيئاً وإلا سقط المقام!)

(هو) شعر بارتجاف الروح عند سماع هذه الصرخة، (أويسقط الحرم ونحن أحياء!)، كان مستلقياً على الساتر الترابي، الذي لطالما احتضنه ومرغ فيه الجسد، وقف

صارخاً (لبيك يا زينب!) أطلق بضعة عيارات ناريّة، ببأسٍ شديد، الى أن أحسّ بحرارة يده، جلس يتفقد، كان كتفه يسيل دماً عبيطاً، لقد تصاوب بشظية حقد، أتى اليه المسعف فوراً (علينا أن ننقلك للعلاج!)

كان وجهه يزداد بياضاً ونوراً رغم تفحمه بسبب القذائف وتناثر الرمال، وقلبُه يكاد لا ينبض من الإجهاد، كان يُحدق لهول روعة المشهد، كميل مسجى بدمه، وغريب لا يتمالك تعبه، والسيّد أمير قد فرغت طلقات سلاحه، وهو بعيدٌ عن المخزن!

(هو) نظر الى دمه الأحمر، واستلقى على ظهره يستجمع الأنفاس، تذكّر وردة الجوري الجبليّة، فابتسم.. ثم ابتسم أكثر.. تخيّل وجهها.. وضحكتها.. وقلقها.. أخذه شوق النظرة الأخيرة، فمد يده الى جيبه، لكن صورتها امتلأت بدمه، أزالها وأعطاها للمسعف، قائلاً (لن أرحل وحق فاطم! أوصل الصورة اليها.. قل لها إن القلب واحد، والدم واحد، والجهاد واحد، أنا أقاتل ببأس البندقية، وهي تكافح بدرع العباءة الزينبية.. وبين الحديد والقماش إرادة التمسّك بنهج الولاية الحيدرية!)

تقدّم الإرهابيون، كادوا أن يصلوا الى المقام، صرخ ثائر، مسؤول التخريب (نُريد استشهادياً، ليُفجّر الكمين على

الساتر الأول، لنعيق تقدم المسلحين..!)

(أنا عباس زينب!!) (هو) صرخ بكل وجعه، اقترب من ثائر، قال أنا جاهزٌ مستعدٌ لأحيا! لأعيش! قد أرهقني هذا الموت .. قال له ثائر بعدما رآه مندفعاً كالحرّ الرياحي (ألست خائفاً! فكّر بالأمر مجدداً!)

فأجابه بثقة (إن بوح علي الأكبر في ليلة التاسع من عاشوراء عندما قال – أولسنا على حق! فلا نبالي.. – هو الذي يُحدد للثوار الهدف الصحيح، إنما هو الحق فقط أساس الصراع، أولسنا على حق!؟ إذن لن ترمش عيوني أثناء التنفيذ!)

انذهل رفيق السلاح، لعمق الجواب، بدأ بتجهيزه بلا شعور، شعر أنه استشهد قبل الشهادة (هنيئاً لك الفوز العظيم يا أخي!)

(هو) خلع الدرع، ليس استهتاراً، ولا جهلاً بخطورة الأمر، لكنه أحسّ بقرب خروجه من سجن الدنيا، أراد أن يكسرَ كل القيود الضيّقة، رمى الدرع على يمينه لكي يُخفف من حركته، ترك البندقية على شماله –بصعوبة– لأنه لن يحتاجها في هذا السفر، ودّع رفاق السلاح بمجد نظرات العيون، ضرب لزينب الحوراء تحيةّ عسكرية بدمع ودم، ثم قال وداعاً يا دنيا الألم، وابتسم!

ركض الى الأمام، نحو الأعداء، بنداء (يا زهراء!)، وفي أثناء الجري، تذكر وداعها الأخير على الهاتف، عندما قال لها بقلق:

أخاف أن لا أنجو هذه المرّة..

فردّت عليه بألق:

ولسوف يُعطيك ربُك الشهادة فترضى!

وصل الى الساتر الترابي، زرع العبوة، ينتظر لحظة وصول أعداء الإنسانية، بأنفاس متعبة، ونزيف إصابة عميقة، وألمٍ لا يفكر فيه، هو يعلم أنه يجري الى النجاة، الى الإلتحاق بركب قافلة العشق، الى الراحة التامّة..

وصل جمع العدو، رمقهم بنظرة إباء وحزم، تشبه إقرار (إنّا من المجرمين منتقمون!)، ضغط على صاعق التفجير، وأغمض عينيه..

لم تنفجر المواد، لم يحصل التفجير، قبض عليه المسلحون وأخذوه الى جبهتهم، لحظات واهتزت المنطقة من التفجير الذي تأخر، لقد حققت المهمّة مرادها، تراجع المسلحون، لكنه وقع أسيراً جريحاً بأيدي أرذل خلق الله!

همس وهم يجرونه الى مكانٍ ما (السلام على المعذّب في قعر السجون، السلام عليك يا كاظم آل محمّد)

قاموا بتعذيبه، وهو جريح، لقد نزف كثيراً، ولم يبق فيه إلا بعضٌ من شهيق وكثيرٌ من زفير..

قال أقبحهم (علينا أن نقطع رأسه..) (هو) لمح الشمر فوراً، فتذكر الحسين، وعاين أبا الفضل، عاش حالة مسلم ابن عقيل، قبل أن يُقطع رأسه ويرمى من على قصر الكوفة صائحاً (عليك مني السلام يا أبا عبد الله..!)

وقبل حزّ رأسه الطاهر، تمتم بفرح (ومن مثلي.. وسأُذبح عطشاناً كالحسين! وسأُدفن غريباً كالزهراء!!!)

وكفراشة خرجت من شرنقة الولادة الضيّقة، الى الحياة الحقيقية..

وكسجين دنيا حان موعد الإفراج عنه.. فنادى فزت ورب الكعبة..

وكصبرٍ شديد طيلة تاريخ الأنفاس.. يأمل بالحساب الجميل بلا عمل..

وكفجرٍ انبلج في فضاء الشهداء.. مُشعلاً قمراً جديداً.. أتمّ إكمال دائرته في الوفاء بإنارة الطريق.. لمن بعده من العابرين الى جوار فاطمة..!

مضى شهيداً.. غادر استشهادياً.. رحل مضرجاً بالعشق على درب الطيبين من آل بيت محمد!

كذا هي الشهادة عندنا، كاحتساء قدحِ ماءٍ بارد، بعد عطش كفاح طويل..

وأخيراً وصل الى مبتغاه، بالكيفيّة التي تمنى، سكن في علياءه كريماً عزيزاً حتى أبدية الممكن، لكنه ترك في هذه الدنيا روحاً ضائعة، لن تكتمل فرحة انتقاله إلا عندما يجتمعُ معها في فردوسه الاعلى..

* وأحرقت روحي.. بنيرانِ هجرِ.. نثرتُ الرماد عبيراً.. وسحراً..

على أحرفٍ باكيات.. وجدت قصيدة ليلٍ.. وعنبر.. وسجدة عمر..

Riko94

Riko94_

دمعةُ روح

(هي) كانت تُجالس البحر، تُناسق شهيقها على توقيت اقتحام الموج للصخور، وزفيرها على ميقاتِ انسحابِه المزعج، تُناغم نظراتها مع لفحات النسيمِ الشرقي الحار، تارةً يمين وأخرى شمال، وتُطابق تفكيرها بهموم الطيور، كالتحليق فقط، أو الإبتعاد عن الأرض، أو انتقاء البذور..

لقد سمعت بخبرِ الهجوم على مقام الحوراء زينب (ع).. وأنّ شهداء الدفاع المقدّس قد ازدادوا عدداً.. وأن الهجوم فشل بسبب بطلٍ مقدام..

كانت تُحاولُ على قدر الشوق، أن تتجاهل الحدس، حدسُها الذي يُخيفها كثيراً، يُخبرها بأنّ سهماً ما أصاب صميم السعادة، قلبُها لا يهدأ عن النبض المقلق السريع، وأفكارُها تسافر فيها الى كل وديان الإحتمالات..

وبينما هي تسرح في غيبوبة الهم، رن هاتفها بموسيقى (لحن النجاة)، كان اتصالاً من أختها..

سلام عليكم

- عليكم السلام، تعي عل بيت هلأ حبيبتي..

خير شو في؟

- تعي وهلأ منحكي ما صار شي ما تخافي بس تعي..

لملمت بعضها من على الشاطئ، تركت بقايا أنفاسٍ تهدر بالقلق، ورجعت الى منزلها بأعينٍ دامعة بلا سبب، على الطريقِ كانت (هي) تُحدث نفسها بالتفاؤل..

(ما صار شي شو بك!)..

(يمكن عاملينلي مفاجأة!)..

(يمكن هو إجا وبدو يفرّحني!!)..

تمددت شفتاها، وابتسمت وجنتاها، يدخلُها سرورٌ جميل كلّما فكرت فيه، لكنّ قلبها خافت النبض، متقلّص الشرايين، كأنه لم يرتوِ من الدم منذ رحيله (هو) الأخير..

وصلت الى المنزل، رأت شيخاً جليلاً محاطاً ببعض الإخوة الملتحين، كان مشهد عزاء، أمّهُ تبكي، وأخته تصيح، والوالد شاحب اللون، **إنّ فقد الأحبّة هو جهنم هذه الدنيا!**

ولروعِ المشهد، فهمت ما حصل، وابتسمت لشهقةِ الخبر، جلست بهدوءٍ على أول كرسيّ عزاءٍ عند الباب، وهمست له معلنةً بدء التخاطب البعيد (إذن.. لقد استشهدت وحققت المنى! هنيئاً لك يا كل القلب، وكل الروح، وكل الحب،

وكل الحياة، أسأل الله أن يتقبّل منّا هذا القربان..)

تقدّمت -بحذر- منها أختها التي تمزح كثيراً، حضنتها، وقالت (نيالك صار عندك شفيع ونحن لأ، صبرٌ جميل والله المستعان حبيبتي..)

لقد فاجأت الجميع بتصرفها الهادئ، ظنوا أنها تحت وقع الصدمة، أنها لم تعرف بعد هول ما حدث، لكنها كانت تدري وتستوعب القضيّة بغاية العمق، هي لا تنظر الى الأمور إلا بعين زينبية، لم تر إلا جميلا! لم تشهد إلا ملحمة كفاحٍ في سبيل الخلود، كانت أياماً برزخيّة مع ملاكٍ سينتظرها في العالم الآخر.. (هي) تعلم أنه لم يبق إلا شوق الأيام الآتية.. فقد ذهب الظمأ.. وابتلت العروق من عطش الشهادة.. ولم يبق إلا الأجر والشفاعة..

ورغم بأسها وشموخها في النهار، أمام الزوار، ووقوفها كشجرة نخل مثمرة تأبى الخضوع لرياح تشرين، عند استقبال المهنئين، إلا أنها كانت تنهار في الليل.. ذاك الليل المليئ بالصور الذهنيّة، بالبسمات المشرقة لوجهه الباسم، بصوته عندما كان يلحّن زيارة سيد الشهداء(ع).. كانت الليلة الأولى للفراق موعد سكب أول قطرات دموع الروح، تلك الدموع التي لا تُذرف إلا في محضر الشهداء..

كل الوجود يذكرها به، شمعةٌ وليل، وقمرٌ يكاد يختبئ

خلف الغيوم خوفاً، خجلاً من أن تحدّقُ (هي) فيه، بعين الدمع والنوى ـ إن للقمر قلباً أيضاً، ينبض ومضات نورٍ بوجه من ذاق الفراق فقط ـ وشهابٌ لامعٌ ونسيم حنون، يحتضن وجهها الحزين كرأفة ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾(سورة الروم ٤٦)

والذكرى مليئة به، ضحكات وهمسات، وعيونٌ غائرات، وشفاهٌ ذاكرات، وحضنٌ آمنٌ كدفئ الصلاة، ورغم آية ﴿ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ لكنها كانت تشعر أنه حيٌّ أكثر من أيّ وقت مضى! تحسّ بنبض قلبه في قلبها، وبصوته في أذنها، حتى انحناءات سجوده تذكرها جيداً، فقد كان يرتقي فيها الى الأعلى لا الى الأسفل، كان يمرغ وجهه بالسجدة، يُطيل السجود لدقائق بلا همس ولا حركة، ثم يقف ليزور جده الحسين (ع) عن الشمال، وبعدها يتوجه للأمام، ويتلو دعاء الحجة ابن الحسن (عج) ضارباً تحيته العسكرية المعهودة..

(هي) لم تُهمل تلك الورود التي كان يُقدمها لها عند كل لقاء، من كل الأنواع، والألوان، كانت تذكر جيداً إهتمامه الشديد بها، يسأل عنها كما يسأل عن مواقيت الصلاة، كان يتفقدها في كل مرة يزورها فيها، حتى أنها وبعد استشهاده نظمت أبياتاً له، كانت تُنشدها عندما تسقي تُراب الورود في المساء، وتبكي ليُتم القرنفل، فتهمس:

وكان يُحاكي الورودَ بحبٍ.. ويمسحُ أترابَها باليمين..

شهيدٌ بنورِ الجبينِ تميّز.. ومن عطرِه عبقُ الياسمين..

تُرابُ الورودِ بكفّيه نظّف.. بكمّهِ جفَّفَ.. طول السنين..

وما إن تسامى بقلبٍ طريٍّ.. شهيداً يُغنّي بلحنِ الأنين..

سجدْنَ الورود.. لفقدِ المُعيل.. لمن لقّن الزّهر معنى الحنين!

كانت في كل مرة تنتهي من هذه الأبيات تجهش بالبكاء، لاشتعال ذكريات الوصال الأنيق، لفترة بقيت على هذا الحال، الى ان منعتها جدتها الحنونة عن سقاية الورد، تخفيفاً لألم الشوق، حتى ذبلت الورود لاحقاً بوجل، وفاءً لساقيها الأول..

* يُقاس عمر الأجساد بدءاً من أول دمعةٍ بالسنين.. ويُقاس عمر

العقول بدءاً من أول قراءةٍ بالعقود.. ويُقاس عمر القلوب بدءاً

من أول ميلٍ بالدهور..

ذات ليل

لا زالت تذكرُ ذاك الليلَ جيداً، حينما حدَّثها عن الشهادة، كان البوحُ المسائيُّ حينَها لا يَشبَهُ تخاطُبَ البشر، ولا يخضعُ لقوانين الطبيعة، لقد سافرَ فيها عبرَ عوالم الروح، بحروفٍ هائمة، ونظراتٍ عميقة، وحديثٍ دامعٍ يشبَه ندى الماء على أوراق الورد..

كان كلامُه كدعاءٍ مخطوطٍ على صحيفةٍ قديمةٍ قد ملأَها غُبار السنين، رسمها أحدُ الأولياء الصالحين، وخبأَها في جوفِ كهفٍ تحتَ رمالٍ لطالما تهجّد عليها.. عِشقٌ وشهادة، دمعٌ ودمٌ، وتمردٌ وألم، مصطلحاتُ الثورة لا تفارق شفتيه، وأدبياتُ الكفاح تظهرُ في شراسةِ عينيه، لم ير في الموتِ إلا نشوةَ رحيلٍ بعد عناءِ التنفسِ الصعب - ليس للأجسادِ (شهيقٌ) في الآخرة.. لذلك تسلمُ الأرواحُ من آهاتِ (الزفير)-

كان كلَّما رفعَ بصرَه الى السماء، وأبصرَ خرائطِ النجوم، تمتمَ بإخفات ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ

عَظِيمٌ﴾ فتنهمرُ دموعَه لدهشةِ القسم، ولروعةِ البيان، ولعظمةِ الأكوان..

كان في قاموسِه العشقُ ليل، والليلُ عشق، شبيهان حدَّ التطابق، في الليلِ يذوبُ الوالهونَ بعتمة تطفئُ بصرَ الذنوب، لتنيرَ بصيرةَ القلوب، يستمدُ العابرون من مداهُ شعلةَ الثباتِ في لحظةِ الوصولِ الى آخرِ السفر.. في قصص السهر، رأسُ قلمُ الليلِ قمر، حبره عتمُ الفضاء، والنجوم فهرس الحكاية..

كذا هو العشق، مجهولٌ مخيف، مُرعبٌ بجاذبيته، يهابُه الجبناء، لمساسه بالأرواح، ينسدلُ كظلامٍ دامس، فيُعمي البصير، ويُشعلُ النضالَ في القلبِ الصغير، ورغمَ فيضِ الغموضِ فيه، فإنه يختزلُ مسافات النور، ويُضيءُ طريقَ السالكين، لمن تذوَّقَ فيه الشهدَ بلسانِ العقل.. وتلذّذَ بمعرفةِ الحقيقة..

في ذلك الليل الغريب، كان القمرُ قريباً الى حدٍ عجيب، وهجُه ملأ الغرفة، ونجومُه يلتفّون حولّه كأنّهم ينتظرون رواية المساء، (هو) أنهى وصالَ الثماني ركعاتٍ مضيفاً الشفع والوتر، حضنَ السجدةَ بخديه، ثم قامَ ملتحفاً بغطاءِ صوفٍ سميك، يقيه شدّةَ بردِ لحظاتِ السحر، جلسَ على أريكةِ قُماشٍ ممزّقة جنبَ نافذةِ السماء، رمَقَ القمرَ برموشِه الطوال، وقال: (إننا قومٌ نتجوّلُ بين البشر، لا نحسبُ سنينَ

العمر، ولا طوارقَ الدهر، ارتقينا بحبِ فاطم حتى أمسى الموتُ في سبيلِ الحقِ ذروةَ العشق، وغايةَ الأمل، ومنتهى السعادة)..

نظر إليها ببصيرة العيون الذابلة وأنشد:

الموت آتٍ لا محالة نازلٌ... والكلُّ محمولٌ على الأكتافِ
غنيٌّ كنت أم في الفقر كادحٌ... مصيرك قبرٌ جاورَ الأسلافِ.

(هي) كانت تراقبُه كما كلِ لحظاتِ الوجودِ معه، لا تتأمّل إنساناً، ولا مؤمناً، ولا حبيباً، ولا حتى شهيد، (هي) كانت لا تزال في مرحلة (ما هذا؟ وكيف؟ ولماذا؟!) لم تكن حينها تفهم عُمق ما يجري، واقعيةَ الغيبِ فيما يدورُ أمامها، حلمٌ أم حقيقة؟ وهمٌ أم بصرٌ من حديد!

(هو) أنهى أغنيةَ الختام في ذلك المساء الإستثنائي، توضأ بدمع الاستغفار، وسبّح بنيّة إتمامِ الوصال، موطناً نفسه على الارتحال، وقبل أن يمضي الى عمله قبيل فجرِ ذاك النهار، سألته بفضول:

(أليس علينا ان نسعى الى النصر!؟ فهذا حُكم العقل..)

أجاب مودّعاً (إما النصر أو الشهادة.. وكلاهما رائع!)

وعندما وصلَ الى الباب، التفتَ... ابتسمَ.. وهمَسْ (والشهادةُ أروع!) ورحل..

* ومن عرف الله...وأحبه...

لا ينبغي أن يرى في الأقدار إلا جمالاً... ورضا.

ومنهم من ينتظر

بشغف.. ظلّت تبتسمُ وتتفائلُ طيلةَ نهارات الفحص الطويلة، إلى أن جاءها الطبيبُ بالخبرِ الأجمل، (معك هيداك المرض!! وما في أمل!! سترحلين قريباً!!)..

لم تعرف كيف تتفاعل مع الأمر، وماذا ستقول، أصابَها صمتٌ لا إراديْ، وجمودٌ صخريْ، وكخشبةٍ عائمةٍ على وجهِ ماء، أسعفتها صديقةُ عمرِها الى خارج المستشفى بصعوبة..

لم تهمسْ إلا لسائق الأجرة، عندما سألها (الى أين المسير؟)، قالت بإخفات، (خذني الى اللا مكان، المهم هو الرحيل!!) اختارت (البحر)، علّ هدير موجه يغسل قلباً أصابه سهم حزنٍ مسموم..

كان هذا الحدث (قاف) ختام هذه الأبجديّة، كان الطقس باكياً بغزارة، والسماء ملبّدة بغيومٍ قاتمة. كانت تمشي تحت المطر كزورقٍ فارغ في بحيرةٍ نائية، بلا مسار، ولا مرسى. (هي) لا تحمل همّ تبلل الثياب، ولا تفلّت الحجاب،

كانت تحتاج لسماع ألحان الشتاء لكي يهدأ سلطان القلق.. ولتتحمّل صدمة العمر. لكن.. ورغم كل ذلك، لم تفارقها البسمة بعد..

بسمةٌ ظهرت عندماً تذكرت رحلتهما الأخيرة الى البحر، كان الطقس حينها شتوي بامتياز، (هو) صعد في ذلك الغروب الى أعلى الصخرة، فتح ذراعيه على وسعهما للمطر، تدلّى شعره على وجهه المبلل، وبدأ كطفلٍ يحاول أن يشرب ماء السماء! (هي) كانت تُراقبه من تحت المظلة، تُشبك كفّيها ببعضهما البعض وتنفخ حرارة الزفير فيهما لتوليد الدفئ.. قالت له بامتعاض المحبين (الى هذه الدرجة تُحب المطر! هل عليّ أن أغار عليك منه! ألا تحضنني أنا فتنعم روحي بدفئ الحبيب!).. (هو) قفز في ذلك الوقت الى جوارها وصاح (متهمٌ أنا بكثرة التغزّل بالشتاء.. حسناً.. أنا اليوم أُعلن في هذا الليل الحالك وتحت عيون القمر بأني متيمٌ بحب ثاني الفصول.. وأرتبك حينما أحسّ بالصقيع.. وأخجلُ حين يقبلني المطر! وأرتعد عند سماع صوت الرعد.. شتويٌ أنا.. والصيف لي فراق..!)

قاطعت رفيقةُ دربِها ذكرياتها الوردية، وهدوءها الملكي، بعد أن رفعَت مظلة حبٍ فوقَها تقيها من بأس الشتاء، حضنَتها بقوّة كما تحضنُ الأمّ ولدها المجاهد حين السفر.. وتمتمت

بأسى.. (هذه حال الدنيا يا نسيبة الروح، فلا تخافي ولا تحزني، فالجميع سيتذوق هذا الكأس.. كلنا رايحين..). وساد الصمت.

مرّت لحظاتٌ بلا حروف، دهرٌ بمقدار الشوق، أيامٌ بمعيار القهر، وثوانٍ بحساب الزمن.لا يخترق السكون إلا حسيسُ آهاتٍ نحيفة، ونبضات قلبٍ ضعيفة، وبرقيات رعدٍ من سماءٍ لا تخاطبُ غير العاشقين.

وبلا سبب، هدأ البحر الحنون، كأنّه شعرَ بألمِها، وتسلّلت خيوطُ الشمس من ثوب الغيوم، كأنّ الله أراد أن يلهمَها الأمل. التفتت الى صديقتها الكئيبة، والهواء يداعب شالها الأحمر -الثوري- معلناً تعاطفه مع شهيقها والزفير، وصدَحت بصوتٍ ملكوتي، ولمعان عينيها نبعُ وفاءٍ نقيْ .. (لا لستُ أهاب الموت! ولا حتى ألم الفراق، إنما قد أذهلتني رحمة ربّي!! كيف أنه إستجاب لدعائي، بأن لا تطول أيام اشتياقي، لأمضي الى الزهراء (ع)، الى بطلي – الشهيد -، لألحق بقافلة العابرين، كم سيكونُ عناق اللقاء رهيباً..!! بحجم مسافات العوالم!)

(هو) كان يراقبها من عليائه.. لقد إبتسم حينما وصلتها برقية الإستدعاء.. وبدأ بالتجهّز للقاء.. وحينما سمعها تحكي عن رهبة العناق.. ترقرق الدمع في عينيه وصاح

(سيكون عناق أرواحنا رواية سرمدية تحكيها ملائكة الخلد.. يا شهيدة الحُب!).. لم تسمعه أذنيها.. لكن روحها ماجت في جسدها النحيل.. مترجمةً ما قال الى رجفة عشق.. وومضة وحي.

لقد انطفأت في ذلك الليل (شمعة) الحكاية، بعمرٍ قصير، خفَتَ (النور) تاركاً عتمَ الليل لدخان الرحيل.. ستتوقد شمعة الولاء شوقاً عند ظهور ذاك المحاط بضياء القُدس، لتنبت بثورته (دماء) الشهداء ورداً، برائحة (العدل) العلوي، ويختم الله كفاح النورانيين بقيام (جمهوريّة الزهراء العالمية).

وها قد أنهينا أبجدية الوفاء .. من الألف الى الياء.. فلنختمها معاً ببركة الصلاة على محمد وآل محمد..

الفهرس

الفهرس

الإهداء ٥
هي هو ٧
بسم خالق الجمال ١١
ألمٌ وإنتظار! ١٥
في حضرة الزهراء -ع- ١٩
ولكن! ٢٣
انهيار الأنا!! ٢٧
في حضرة الشهداء ٣١
الدحنون سيّد الأساطير ٣٧
مودةٌ ورحمة ٤١
فلتحيا بالعشق! ٤٧
اندماج ٥١
شمعة أم شمس؟ ٥٥
حجابك بندقية! ٥٩
قمر ٦٣
متى أنجو! ٦٧
نور النور ٧٥

فلسفةُ العشق! ٨١
اختبار ٨٧
الدفاع المقدّس ٩١
شمسٌ لا تغيب! ٩٩
سأراك.. .... ١٠٣
حب الزهراء أجنني ١٠٧
هو ذا حيدر ١١١
الحسين ثورة! ١١٥
أين الإ[illegible] ١٢١
اشمخي بيروت! ١٢٧
ولادة شهيد ١٣٣
دمعةُ روح ١٤٣
ذات لـيل ١٤٩
ومنهم من ينتظر ١٥٣

Noor.k.k-1994

حكايةُ بعمر شمعة

هي مشاعرٌ تكدست عبر الزمن..

في روحٍ ثورية..

تسربت الى مخزون القلم..

ليسكب دمعاً..

لا حبراً..

فكانت هذه الحكاية..

عُصارة اختمار عشق..

وخلاصة دهرٍ من كفاح.

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail : almahajja@terra.net.lb
E-mail & FB: info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com

ISBN 978-6-1442654-0-6

Designed by **Sara**